

# مجموعة توفيق كنعان

## الموارد / منشورات توفيق كنعان

المصدر: توفيق كنعان، الأعمال الفولكلورية الفلسطينية  
للدكتور توفيق كنعان، 1882-1964، الجزء الأول،  
رئيس هيئة التحرير والترجمة والنشر: نمر سرحان  
(عمان: المركز الفلسطيني للفنون الشعبية في  
المنفى، 1992).



اهداهم الدكتور محمد مرصم  
منه فاطمة اعلم القاهني  
ديوانها انانيس

194982

# الأعمال لفولكلورية فلسطينية

للدكتور توفيق كنعان

١٨٨٢ - ١٩٦٤

الجزء الأول  
الجزء الثاني

الجزء الأول

GR  
285  
.K36  
1390Z  
v.1.



رئيس هيئة التحرير والترجمة والنشر  
الدكتور نمر سرحان

UNIVERSITY OF JORDAN LIBRARY

Library

Handwritten notes and signatures at the bottom right.

## تصدير

د. نمر سرحان

بدأ اهتمامي بأعمال الدكتور توفيق كنعان، كجزء من اهتمامي بالفولكلور الفلسطيني. في صيف عام ١٩٧١ كنت أزور القاهرة للمشاركة في ندوة «جامعة الدول العربية» حول «العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية العربية»، وكنت إذ ذاك أراس وفد الأردن، وكان هناك وفد فلسطيني عن «مركز الأبحاث الفلسطينية» برئاسة الأخ نبيل بدران. وطلب إلي الوفد الفلسطيني أن أكتب «الورقة» التي يتقدم بها، ذلك الوفد، متضمنة مطالب «مركز الأبحاث في مجال إحياء تراث الشعب الفلسطيني». وقد دعوت الأخ نبيل ورفاقه لزيارتي في الشقة التي كنت أسكن فيها في منطقة مسرح البالون، ولتناول طعام الغداء والتباحث في أسس «الورقة» المطلوبة. وخلال الزيارة حصلت من الوفد الفلسطيني على جزء من أعمال كنعان المنشورة، وطلب إلي الأخ نبيل أن أهتم بهذه الأبحاث، وأن أكتب دراسة عنها لتتشر في مجلة «شؤون فلسطينية». وهكذا كان. وفي الصيف التالي كنت أزور كلاً من فنلندا، السويد، الدنمرك، بدعوة من وزارة التربية الفنلندية، وتمويل مشترك من الحكومتين الأردنية والفنلندية لدراسة أعمال الباحثة الفنلندية (بشكل خاص): «هيلما جرانكفيست» عن الفولكلور الفلسطيني<sup>(١)</sup>. وخلال لقاءاتي مع عدد من المستشرقين والمستعربين الاسكندنافيين لاحظت المكانة المحترمة التي يحظى بها د. كنعان في الأوساط العلمية، هناك، في الوقت الذي كان، وربما لا يزال، الدكتور كنعان مجهولاً، أو شبه مجهول لدى القارئ العربي. وهكذا صرفت جزءاً من الوقت لاستكمال جمع أجزاء من أعمال د. كنعان المتناثرة في الدوريات الفنلندية والانجليزية والألمانية. ثم استكملت العمل خلال زيارتي للولايات المتحدة (١٩٧٨)، وتوفرت على جمع بعض أعمال د. كنعان من مكاتب عالمية شهيرة مثل: مكتبة الكونغرس، ومكتبات في نيويورك، وملووكي ومينابوليس، وهكذا استمر اهتمامي بأعمال د. كنعان خلال مشاركاتي في مؤتمرات فولكلورية دولية (بغداد ٧٩، دلهي ٨٠) وتواصل هذا الاهتمام أثناء توفري على دراسة «استشراق فلسطين» لإعداد أطروحتي الجامعية لنيل

٣٩٠٩٥٦٤

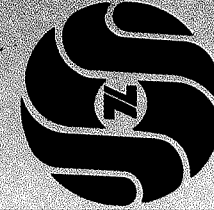
توفيق كنعان

الأعمال الكاملة للدكتور توفيق كنعان / توفيق كنعان  
ترجمة نمر سرحان. - عمان، المركز الفلسطيني للفنون  
الشعبية في المنفى، ١٩٨٨  
(٨٨) ص  
رأ (١٩٨٨/١٢/٧٢٢) ١  
١ - فولكلور فلسطيني أ - العنوان  
ب - نمر سرحان «مترجم»

(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

• رقم الإجازة المتسلسل في مديرية المطبوعات ١٩٨٨/١٢/٦٦٥  
• رقم الايداع في المكتبة الوطنية ١٩٨٨/١٢/٧٢٢

طبع الجزء الأول بتمويل من



شركة مصانع الدهانات الوطنية

صكايع إخوان

ماتف ٧٢٢٤٨١ / فاكس ٧٢٢٤٨٣ / تلاكس ٢٤٢٥٥ جو. ص. ب ٥٢٣ - أبوعلندا - الأردن

جميع الحقوق محفوظة للمركز الفلسطيني للفنون  
الشعبية في المنفى - البيادر / الأردن ص. ب: ١٤٠٣٢٥.  
هاتف ٨١١٤٨٣. توجه جميع المراسلات والحوالات باسم المركز.

صورة الغلاف:

عبدالرحمن عجايمة من قرية دير حنا قضاء عكا ومقيم فيها يحمل صينية  
الحناء المغطاة بالورد في سهرة ليلة الحناء

- عرس شقيقته نزيهة. دير حنا، الخميس ١٦/٧/١٩٨٧

العمل لبنة لبنة، وبدون تعاونهما كان من غير الممكن الوصول إلى تحقيق شكل مبكر من أشكال العمل، ولهما كل شكري وتقديري.

البيادر ١٩٩٢/١/١.

- (١) تشمل خطة المركز الفلسطيني للفنون الشعبية في المنفى لما تبقى من عقد التسعينات؛  
أولاً: إصدار ترجمة عربية لأعمال هيلما جرانكفيست؛  
- الولادة والطفولة (كتابان)  
- الزواج (كتابان)  
- تقاليد الوفاة (كتاب واحد)

ثانياً: إصدار ترجمة بالإنجليزية لموسوعة الفولكلور الفلسطيني (الصادرة كطبعة كاملة بالعربية عام ١٩٨٨). وتعد الترجمة هنا في عمان، وسينفذ الطبعة الإنجليزية فرع المركز في لوس أنجلوس.

ثالثاً: مواصلة جمع المأثورات الشعبية الفلسطينية كما وردت في أعمال الاستكشاف والاستشراق لتكون جاهزة للنشر في حدود عام ١٩٩٥.

(١) يشكر المركز كل الذين يسهمون بصورة سنوية في دعم موازنته. نخص بالذكر السادة: شركة مصفاة البترول الأردنية، السادة شركة كوماتسو، السادة البنك الأهلي الأردني، السادة بنك الإنماء الصناعي، السادة شركة النقل البري العراقية الأردنية، السادة بنك الاستثمار العربي الأردني، السادة البنك الأردني الكويتي، السادة شركة الجسر العربي للملاحة، السادة بنك الإسكان، السادة شركة الدستور الأردنية والسادة شركة الدهانات الوطنية ناشونال...  
كما نذكر بالتقدير الدعم الجيد لعدد من السادة الأفاضل من أمثال: عبدالمجيد شومان، توفيق فاخوري، ميشيل صايغ... فلكل هؤلاء يعبر المركز عن عظيم امتنانه.

الدكتوراه، وخلال مناقشات، بين وقت وآخر مع العديد من المستشرقين. وفي عام ١٩٨٨ نضجت فكرة البدء بمشروع السنوات الخمس لإصدار «الأعمال الفولكلورية الفلسطينية الكاملة للدكتور توفيق كنعان»، أثناء عملي في «دائرة الثقافة. م. ت. ف»، وشرحت الفكرة للأخ عبدالله الحوراني، رئيس الدائرة المذكورة، وعضو اللجنة التنفيذية للمنظمة، والذي رحب بالفكرة من حيث المبدأ. وعلى الفور بدأت أعمال الترجمة، جنباً إلى جنب مع جهود حثيثة لتوفير تمويل أعمال الترجمة، وجمع المواد الناقصة، وأعمال الدعاية والتعريف بالمشروع. كان من أوائل المشجعين والمتبرعين السيد عبدالمجيد شومان، ثم حصلت على مساعدة سخية من بنك الأردن، ورئيس مجلس إدارته السيد توفيق فاخوري، الذي قدم تبرعاً شخصياً أيضاً، وقدمت العديد من الشركات الأردنية مساعدات لا بأس بها، ساعدت في دفع المشروع قدماً: ترجمة واعداداً للطبع. وكان المشروع خلال السنوات (١٩٨٨ - ١٩٩١) يتقدم تارة، ويتعثر أخرى في ضوء إمكانات تمويل أعمال الترجمة<sup>(١)</sup>، والبحث عن المصادر. لقد وضعت نصب عيني ألا أترك أيّاً من مقالات د. كنعان أو كتبه، دون أن أضمنه في هذه الأعمال. حتى الصور التي ظهرت في أعماله، فقد جندت كل إمكانيات لتوفيرها وقد حصلت على «فيلم» للصور الأصلية التي ظهرت في كتاب د. كنعان؛

«Aberglaube und... Hamburg 1914»

بمساعدة مشكورة من الصحفية الألمانية الأنسة: زابينا شولتس، من «هلبير شتات». كما لا يمكن أن أنسى مساعدة السيد «أوفة كور» مراسل وكالة أنباء المانيا الديمقراطية في الشرق الأوسط، الذي وفر لي عدداً من مقالات كنعان المنشورة بالألمانية. وحصلت على مساعدة طيبة من العديد من المكتبات الجامعية، ولا يسعني إلا أن أذكر بالشكر، مساعدة الدكتور «Mechthild Kellermann» من قسم الاستشراق في مكتبة جامعة توبنجن، والذي وفر لي أهم أعمال د. كنعان «Aberglaube». وأثناء إقامتي في شيكاغو (١٩٩٠) وفر لي الإخوة في «منظمة الشبيبة الديمقراطية الفلسطينية - P.Y.D.O» في الولايات المتحدة المساعدة الممكنة لاستكمال ما صعب استكماله في السابق من أعمال كنعان ويستحقون كل الشكر على مساعدتهم لإيصالي للعديد من المكتبات العامة، في وقت قصير نسبياً، ذلك العمل الذي لم يكن من الممكن إنجازه بدون مساعدتهم وخلال هذه السنوات عمل الأخوان زكي وإبراهيم من مطابع الدستور بأناة وصبر، وتعاون خلاق مثمر لصف وعمل المونتاج، وبناء لبنات



مقدمة  
الأعمال الفولكلورية الكاملة  
للدكتور  
توفيق كنعان

بقلم: الدكتور نمر سرحان

خلال السنوات الثلاث الماضية، انجز «المركز الفلسطيني للفنون الشعبية في المنفى» ترجمة «الأعمال الفولكلورية الكاملة للدكتور توفيق كنعان»، والتي كان المرحوم كنعان (١٨٨٢ - ١٩٦٤) قد كتبها باللغتين الألمانية والانجليزية، تمهيداً لنشرها بهدف اطلاع قراء العربية عليها، وباعتبارها مادة من الدرجة الأولى، تتحدث عن فولكلور فلسطين عندما كانت البلاد ذات أغلبية عربية ساحقة.

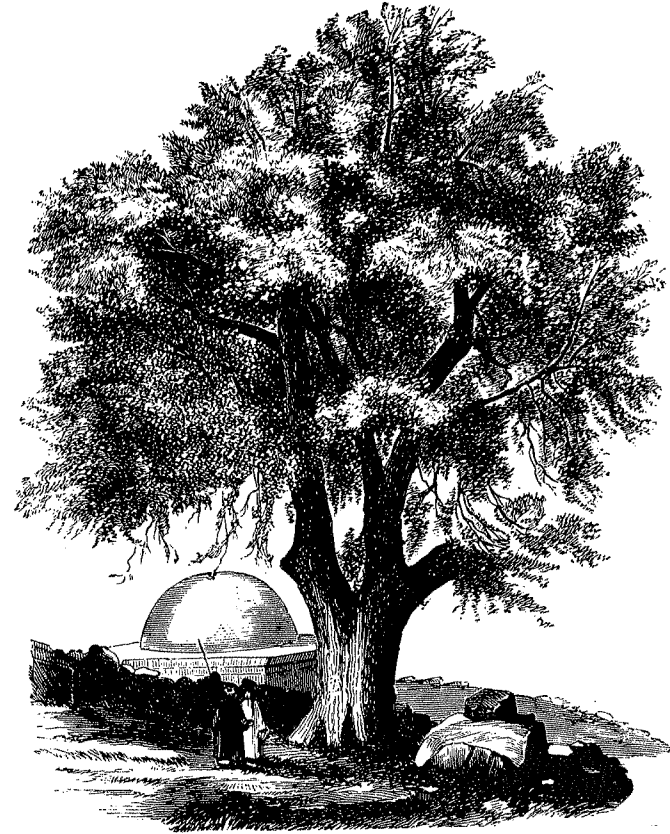
وتشمل أعمال المرحوم كنعان، والتي تعد الآن للطبع في ثلاث مجلدات من (١٢٠٠) صفحة، مع عدد كبير من الرسوم واللوحات الملونة، وبضمنها لوحات أصلية من القرن التاسع عشر. وتشمل الأعمال الكاملة للمرحوم كنعان ما يلي:

١ - الكتب:

- أ - الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين.
- ب - الخرافة والطب الشعبي في فلسطين.
- ج - علم الجن في فلسطين.

٢ - المقالات:

فولكلور النبات في الخرافات الفلسطينية، الينابيع، خرافات وفولكلور حول الخبز، قوانين غير مكتوبة تتحكم بمكانة المرأة الفلسطينية، الضوء والظلام في الفولكلور الفلسطيني، الطفل في الخرافة العربية الفلسطينية، الدواعي، روزنامة الفلاح الفلسطيني، القتل في عادات وتقاليد عرب الأردن، الماء وماء الحياة في الخرافات الفلسطينية، المعتقدات والممارسات الفلسطينية، الدم في العادات والاعتقادات الخرافية عند الفلسطينيين العرب، بيت الوالدين، من حياة العائلات العربية الفلسطينية، في المعتقدات الشعبية الفلسطينية ضحية الكفارة في المعتقدات الشعبية الفلسطينية، ينابيع الحياة، الكائنات



تمثل الشجرة أحد المعالم البارزة للمزار، فهي صنوة، والملازمة له، وتشاركه في القداسة والدور اليومي، عليها يعلق الزوار خرق القماش، ويستظلون بها، ويتناولون طعام السماء تحتها.

الخرافة للطبيعة في الاعتقاد الشعبي، العادات والتقاليد الفلسطينية المتعلقة بالموت، موسم النبي موسى، العذراء، المرأة العربية في شرق الأردن، الفلاحة في فلسطين، البذور الشتوية في فلسطين، بدو العزازمة، مهر العروس، الأرامل، الشفعة، بدو الصقر، البتراء، الأواني السحرية، البيت العربي، طاسة الرجفة. (٣٣ مقالة).

وفي هذه المقالة محاولة لتقييم تلك الأعمال والتعريف بها وبمؤلفها الأصلي، بمناسبة صدورها القريب، هذا العام في ثلاث مجلدات، باللغة العربية.

ولد الدكتور توفيق كنعان عام ١٨٨٢ في قرية بيت جالا الواقعة إلى الجنوب من القدس، توفي والده وهو في السادسة عشرة من عمره، ومع ذلك شق طريقه في الحياة، وتعلم الطب في الجامعة الأميركية في بيروت. كان يدرس ويعمل في نفس الوقت ليوثر مصاريف الدراسة والحياة اليومية، وبعد تخرجه عمل كطبيب في بلدية القدس، ومستشفياتها. وكان، بحكم عمله، على اتصال مباشر بالقرويين، والبدو، والذين كانوا يترددون على عيادته. وقد أعطت تلك العلاقة دراساته قيمة علمية وثائقية عالية، كما تقول ابنته يسمى كنعان:

«لقد كان على اتصال مع القرويين في السنوات المبكرة من حياته مما جعل اهتمامه بالخرافات والفولكلور يستيقظ مرة ثانية. في ذلك الوقت كان أطباء قليلون يعيشون الممارسة، حيث كان الناس منغمسين في الخرافة والطب الشعبي. لقد شاهد خرزات العين والتعاويد التي توضع على اليد، والمجوهرات التي يلبسها مرضاه.. ولاحظ أيضاً أن معظم المرضى كانوا فقراء، وحتى رسومه العادية - اجرة الفحص - أكثر مما يتحملون. لقد قرر، بدلاً من الدفع، أن يسأل عن تاريخ وهدف الحلية التي كانوا يلبسونها، وعن أشياء فنية أخرى. بهذه الطريقة أوجد جمعاً وتاريخاً».

إن قراءة متأنية لأعمال الدكتور كنعان تجعلنا نصنف أعماله الفولكلورية ضمن خانة رئيسية من البحث الفولكلوري، وهي خانة المعتقدات الشعبية، وفي دائرة تشمل السحر الخرافة، الشعوذة، الأواني السحرية، الجن، العفاريت، المعتقدات الخرافية المتعلقة بالطب الشعبي والسحر، مسائل الدين الشعبي، المتصلة بإيمان الوسط الشعبي بالله ومعرفته للمعتقدات المتصلة بشؤون الحياة اليومية: المرأة، الثأر، القتل، القضاء، ونحو ذلك. ولم يكن الدكتور كنعان مهتماً بالأدب الشعبي إلا بمقدار خدمة نصوص الأغاني والأقوال والأمثال لتفسير المعتقدات الشعبية والخرافية. كما أن الدكتور كنعان لم يكن ليهتم بالفنون الشعبية المادية، مثل الزي والرسم والتطريز والحرف اليدوية، إلا بمقدار صلة هذه الفنون اليدوية بالمعتقدات، فلقد درس الدكتور كنعان الحلي، والمسابع والتعاويد، والأواني

السحرية، مثل طاسة الرجفة وسواها، ليفسر الجانب المعتقد الخرافي الفلسطيني، كما آمن به الناس في الوسط الشعبي، واهتم الدكتور كنعان بالمعمار الشعبي فدرس البيت، وأساليب البناء، وأدواته، وأعطى مساحة كافية لدراسة المزارات الإسلامية من حيث المعمار والطقوس. وعند تفحصنا للجوانب الفولكلورية التي اهتم بها الدكتور كنعان نصل إلى الاستنتاج بأنه تناول الجوانب الصعبة في الفولكلور الفلسطيني، المعتقدات والخرافة، والمزارات والطب الشعبي. ولم يتناول الجوانب السهلة والممتعة مثل الأغاني الشعبية والحكايات وفنون التشكيل الشعبي وجماليات التعبير الإبداعي الأدبي. وربما كان ذلك عائداً لتكوينه الثقافي، فهو كطبيب أراد أن يدرس الحياة الشعبية من وجهة نظر عالم في الطب شعر بالفارق الكبير بين ما يعرفه من معرفة علمية تتصل بحياة الإنسان، وبين ما ينغمس فيه القرويون والبدو من حياة خرافية متخلفة. هذا فضلاً عن أنه كان يكتب بدوافع علمية ليست بعيدة عن النشاطات الاستشراقية التي كانت في أوجها عندما كان هو في بداية وقيمة عطائه.

#### دوافع الدكتور كنعان للبحث الفولكلوري:

تراوحت دوافع الدكتور توفيق كنعان للبحث الفولكلوري بين الدوافع العلمية التوثيقية والوطنية. وما من شك في أن الدافع العلمي كان الطابع الغالب على أعماله، وتدفعنا قراءة أعماله على التأكيد بأن الباحث لم يكن يهدف إلى تسييس الفولكلور الفلسطيني، ولكنه لم يخف حرص «ابن البلد البار» على تراثها ونجد الكثير من الاشارات في أعماله على مدى هذا الحرص، إذ يقول في مقدمة كتابه «المزارات الإسلامية في فلسطين»:

«وأنا كابن لهذه البلاد شعرت أنه من واجبي أن أعاون في هذا الجهد العلمي وبما أنني لا أدعي أنني دارس ومحترف فإنني أحاول هنا أن أضع المادة الفولكلورية الخام كما جمعتها تاركاً للدارسين المحترفين أمور تفسيرها ومقارنتها».

كما نجد ما يشير إلى تدمره من تأثير الهجرة اليهودية على الطابع الشعبي الفلسطيني إذ يقول بأن «الهجرة اليهودية التي تدفقت على فلسطين في الربع الثاني من هذا القرن غيرت الحالة البدائية الأولى تماماً».

ويبدو لي أن دافعه العلمي، وكذلك الوطني قد امتزجا معاً حتى ليصعب على الناقد أن يميز بينهما، وذلك واضح في قوله عن ضرورة رصد الملامح البدائية لفلسطين، كما جاء في مقدمة عمله المشهور عن «المزارات الإسلامية في فلسطين»:

«إن الملامح البدائية لفلسطين تختفي بسرعة كبيرة، ولن يمضي وقت طويل حتى تتلاشى هذه الملامح نهائياً ولذلك فإنه من واجب كل طالب ودارس فلسطيني متخصص في دراسة الفولكلور أن لا يضيع أدنى وقت وأن ينشط لجمع العادات والمعتقدات الشعبية واللامح الفولكلورية الدارجة في فلسطين».

ومما يلفت الانتباه في أعمال الدكتور كنعان هو أن دوافعه الوطنية كانت تقف عند حدود تثبيت مادة الماثور الشعبي، ولم يحاول أبداً أن يدخل في جوانب التراث المتصلة بالهوية الوطنية للشعب، كما أنه لم يتطرق أبداً إلى الفولكلور المقاوم للاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونية على فلسطين. ولو كان الدكتور كنعان ذا اهتمام بالفولكلور الوطني لخلف لنا الكثير من المرويات والتحليلات عن دور الأدب الشعبي الفلسطيني المقاوم في إبراز وجهة نظر الشعب في الأحداث التي يمر بها لكنه للأسف لم يقترب من هذه الساحة، على الرغم من أنه عاش تلك الفترة العصبية من النضال الوطني ضد الاحتلال البريطاني، والتغلغل الصهيوني وعاصر كل الأحداث التي خاض فيها شعبنا نضاله من أجل الاستقلال منذ الحرب العالمية الأولى وحتى سقوط فلسطين بيد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨. وعانى من النكبة، وفقد بيته في القدس المحتلة، وخسر ثلاثة من مخطوطات كتبه التي لا تعوض. وعاش مرارة الحرمان واللجوء، واضطر لأن يسكن مع عائلته في غرفة واحدة. وعلى الرغم من أن ابنته «يسمى» تقول أنه كان نشيطاً سياسياً، فإننا لم نلمس وجهة نظره عبر أبحاثه الفولكلورية. ويبدو أن الدكتور كنعان كان يرد على النكبة عبر عنايته بجماهير الفقراء، وتأسيس العيادات، ومعالجة المحتاجين. وربما كان لظروف حياته اليومية أثر على موقفه، فهو متزوج من امرأة ألمانية، وتعلم في جامعة أجنبية استشرافية، وكتب بلغتين أجنبيتين هما الألمانية والانجليزية، وكان يكتب من خلال مجلات استشرافية انجليزية وألمانية، وأصبح ذات مرة رئيساً لمجلة استشراف فلسطين<sup>(١)</sup>.

إن عمل الدكتور كنعان الذي سماه «الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين»<sup>(٢)</sup> والذي نشر لأول مرة عام ١٩٢٧<sup>(٣)</sup>، هو أكبر الأعمال التي نشرها الدكتور كنعان، والذي يقع في ٣٣١ صفحة من القطع المتوسط وفي ثلاثة أبواب رئيسية هي:

(أ) مواقع وأنماط المزارات من ص ١ إلى ص ٨٥.

(ب) الطقوس والممارسات من ص ٨٥ إلى ص ٢٣٤.

(ج) طبيعة وشخصية الأولياء من ص ٢٣٤ إلى ص ٣٣١.

وفي المقدمة التي كتبها د. كنعان لكتابه هذا، وعلى قصرها فإننا نلمس الكثير من منهج البحث عنده، وأهداف الدراسة فهو يرى أن الدراسة تقودنا إلى الوصول إلى المزارات

ذات القداسة والطابع الغامض في حياة الفلاحين. وهو سعيد بأنه تمكن من أن يحصل على ثقة أولئك الفلاحين الذين تحدثوا بحرية عن ممارساتهم وطقوسهم وطبيعة شخصية الأولياء الذين يقدسونهم.

وفي دراسته تلك اعتمد الدكتور كنعان على دراسة شخصية تفحص فيها بنفسه ٢٣٥ مزاراً، واعتمد على معلومات دقيقة عن ٣٤٨ مزاراً آخر، أي ما مجموعه ٥٨٣ مزاراً في فلسطين. ومن خلال الكم الهائل من المعلومات عن تلك المزارات تحدث كنعان عن الاحتفالات والأذكار والمولد والحضرات وجمع الكثير من الحكايات والأشعار والطلاسم، ومع ذلك نراه يقول بكل تواضع: «إنني لا أدعي أنني جمعت أكثر من حفنة من القمح من أصل الكومة الهائلة»<sup>(٤)</sup>.

وقد استفاد الدكتور كنعان من كل من الأدب العربي، والدراسات الغربية الاستشرافية عن فلسطين.

لقد تمكن الدكتور كنعان من نقل القارئ إلى تماس مباشر إلى الحياة اليومية والعادات الخاصة بسكان فلسطين، كما تمكن من شرح المعتقدات والخرافات الغامضة، ومما يؤدي إلى المقارنة مع الممارسات والطقوس البدائية في فلسطين، وليفصل بنا إلى الاستنتاج بأن الكثير من الأفكار والمثل في هذه البلاد قد بقيت دون تغيير منذ آلاف السنين، وهو هنا يلتقي مع نفس الأفكار التي تحدث عنها كل من «فردريك بلس» و«فيليب بالدنبرجر» في كتابه «الشرق الثابت»<sup>(٥)</sup>، وقد عمل الاثنان على محاولة إثبات «وحدة الأصل الثقافي في فلسطين» - بمعنى أن الأفكار والممارسات والطقوس والعادات والتقاليد التي نراها الآن في فلسطين هي نفسها، كما كانت في عهد الكنعانيين، الذين عاشوا حتى قبل يشوع بن نون، أي قبل ٤٠٠٠ سنة.

يدهش القارئ لوضوح الهوية الوطنية لدى الشعب الفلسطيني عند وقت مبكر في العشرينات والثلاثينات، فنراه يتحدث عن فولكلور فلسطيني ذي معالم محددة ولطوائفه المتعددة مسلمين ومسيحيين ويهود.. أنه يعطينا صورة للفولكلور الفلسطيني - لفئات الشعب الثلاث، وليس ذلك بغريب فهو يتحدث عن فلسطين عندما كان يتعايش فيها الجميع. وإن الاستنتاج الذي يخرج به الباحث هو أن تلك المعتقدات والممارسات الشعبية لا بد وأنها تنبع من «موروث ثقافي واحد» للشعب الفلسطيني، يعود في تاريخه إلى ما هو أقدم من ظهور الديانات الأساسية الثلاث: اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام. ويبيد كنعان اهتماماً كبيراً بالمقارنة الانثروبولوجية، ونلمس ذلك خاصة في كتابه «المزارات الإسلامية» عندما يقارن بين الطقوس والممارسات الحالية لدى الشعب الفلسطيني مع ما جاء في كتب

اليهودية والمسيحية. وربما كان من المفيد أن نورد المزيد من الشواهد، في أعمال كنعان، حول مسألة الأصل الثقافي الفلسطيني الواحد.

١ - فيما يتعلق بالمقامات ومزارات الأولياء فإننا نلاحظ اشتراك جميع اتباع الديانات في تقديس العديد من الأولياء والأنبياء.

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور توفيق كنعان:

«إن العديد من المزارات التي يقدسها الفلسطينيون الآن، هي بلا شك أقدم من الإسلام، وحتى قبل المسيحية»<sup>(٧)</sup>.

وإنني أضيف لقوله: بأن هذه المزارات تعود لفترة ما قبل اليهودية في فلسطين ذلك لأن اليهود عندما هزموا الكنعانيين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، لم يتمكنوا من احتلال قمم الجبال العالية والتي كانت تضم المعابد الكنعانية، وقد تحولت تلك المعابد إلى مزارات فلسطينية لقيت احترام الفلسطينيين في العهدين المسيحي والإسلامي اللاحقين للعهد اليهودي.

وفي نفس الموضوع يقول رينان:

«إن الناس منذ البداية ظلوا يتعبدون في نفس الأماكن والتي هي في الحقيقة قمم الجبال»<sup>(٧)</sup>، حيث شعر الناس منذ أقدم العصور بأنهم قريبون من الله وكانوا يرغبون في التحوار معه<sup>(٨)</sup>.

ويوضح الدكتور كنعان المسألة فيقول:

«لقد ظل الفلسطينيون يحافظون على المكان كمزار، ولكنهم يغيرون الكائن المعبود هناك».

ولا شك أنه يقصد بتغيير الكائن المعبود، مسألة الانتقال من تقديس الإله أو الولي الوثني، إلى الولي اليهودي ثم المسيحي، ثم المسلم، عبر التسلسل التاريخي، وفي ظل سيطرة الديانات أو استمرارها.

ويورد «كنعان» مثلاً على ذلك، فيقول «بأن الكهف الموجود على جبل الزيتون والذي يقدس المسلمون باسم «الريعه»، فإنه يلقى احترام المسيحيين حيث رجمت بلاجيا بسبب ذنوبها، فيما يقول اليهود أنه مزار القديسة خلدة»<sup>(٩)</sup>.

وهناك العديد من الكنائس المسيحية التي تحولت إلى مساجد، وكذلك هناك العديد من المزارات المسيحية التي أصبحت مزارات اسلامية..

ويعطي كنعان مثلاً على ذلك في «الشيخ محمد شعلة» - سبسطيا. وفي الخرائب المجاورة للمزار وجد البروفيسور<sup>(١٠)</sup> آلت كتابات يونانية تكرس الكنيسة لأيليا، في ذكرى المعجزة المتعلقة بارسال نار من السماء إلى الأرض لاحتراق الرجال الذين أرسلهم أهازيا ملك اسرائيل. ولا بد أن المآثورات، وكما يقول كنعان قد حافظت على القصة مع تعديل طفيف، وهنا نجد «شعلة» وقد أخذ مكان ايليا.

وإذا كانت الأمثلة تعطى التسلسل التالي: يهودي، مسيحي، مسلم، فلا بد من أن نلاحظ بأن هناك تعميم على الفترة الكنعانية، لسبب منطقي، وهو أن أسماء المزارات الكنعانية قد ضاعت عن عمد بسبب أن اليهود حرقوا أسماءها إلى أسماء عبرية، وأخفوا المعلومات المتعلقة بها.

وكما يقول مجير الدين (٢ - ٤٨٨) فإن الجبل الذي كان يسمى دير مار مرقص، وذلك باسم دير مسيحي يحمل نفس الاسم، قد أعطى اسم «دير ابوثور» بعد أن أعطى المكان والقرية للشيخ أحمد أبو ثور، وذلك اقطاعية من الملك أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين.

**العناصر المشتركة في فولكلور الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود:**

لا يختلف اثنان في الفكرة القائلة بأن هناك عناصر مشتركة في فولكلور الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود قبل الربع الأول من القرن العشرين، وخاصة في الملابس وأدوات الحياة اليومية، وفي لهجة الحديث اليومي بحكم التعايش الطويل على الأرض الفلسطينية ولكن أبحاث الدكتور كنعان تعطينا أمثلة كثيرة من العناصر المشتركة في الفولكلور الفلسطيني للطوائف الثلاث، وبما يعزز فكرة (الأصل الثقافي الفلسطيني الواحد) التي ذهبنا إليها.

ويمكن تجميع الكثير من الشواهد، عبر أعمال كنعان.


نجد في الأدعية (جمع دعاء) نصوصاً متشابهة، ولكننا نجد أسماء مختلفة للأنبياء والأولياء، ففي «دعاة الرقوة» - اخراج الشر والمرض من جسم المريض، نجد نص الدعاء واحداً عند الطوائف المختلفة للفلسطينيين، ولكن عند المسلمين تجد عبارة:

- الذي أنزل القرآن على محمد.

وفي النص اليهودي:

- الذي أنزل التوراة على جبل سيناء .

وفي فولكلور الطوائف الفلسطينية نجد اسم المريض مقروناً باسم أمه وليس باسم أبيه وهذا العنصر له جذوره الكنعانية والبابلية، وحتى الفرعونية.

ونجد النجمة السداسية  وقد أشير إليها تارة بأنها كنعانية وأخرى بأنها نجمة داوود وثالثة بأنها خاتم الملك سليمان. ونجدها متوفرة في الطلاسم لكل الطوائف<sup>(١١)</sup>.

وقد وجد الدكتور كنعان بين العقود والحجابات التي يعلقها أطفال المسلمين حجابات ومداليات مسيحية ويهودية<sup>(١٢)</sup>.

وعند دراسته لموضوع طبعة اليد أوضح كنعان كيف أن هذه الإشارة هي:-

- يد فاطمة بنت النبي عند المسلمين.

- يد العذراء عند المسيحيين.

- يد إيليا عند اليهود.

واستخرج كنعان العديد من العناصر المشتركة مثل:

- ما يقوله القس هو كلام الله (من فولكلور المسيحيين).

- العلماء ورثة الأنبياء (من فولكلور المسلمين).

- الكهنة مثل الأنبياء (من فولكلور اليهود).

ولاحظ كيف أن البخور هو مادة مشتركة تستعمل في كل معابد اليهود وكنائس المسيحيين ومزارات المسلمين.

وأبرز حالات كثيرة يتداوى فيها الوسط الشعبي من كل الطوائف في مزار الخضر ومعابد السامريين وعند أطباء شعبيين يهود ومسيحيين.

وهناك الكثير من الأدوات السحرية، مثل طاسة الرجفة، نجدها مشتركة بين الجميع.

وحتى المعابد نفسها تحولت من أتباع دين لاتباع دين آخر، وأفضل مثال على ذلك هو مزارات الخضر، التي كانت (وأحياناً لا تزال) للقديس جورجوس (مسيحي) وكانت ذات يوم معبد إيليا اليهودي، وأصلها التاريخ هو معبد (أيل - إله) الكنعاني. ويجب ألا نستغرب ذلك، فإن الصراع الدائر بين المسلمين واليهود في الخليل على الحرم الإبراهيمي،

هو شكل معاصر من أشكال تلك التحولات في «الأصل الثقافي الفلسطيني الواحد».

إن الحكايات الشعبية الفلسطينية تتحدث باحترام كبير عن الانبياء والقديسين من الطوائف الثلاث، دون تمييز (محمد، عيسى، سليمان داوود... الخ).

كما أن حمام ستي مريم المقدس عند المسيحيين، يساعد الفلاحة المسلمة للتخلص من العقم، إذا استحمت فيه. وكذلك فإن مقامات النبي موسى، النبي صالح، النبي صمويل وبئر العذراء ومزار الخضر تحظى باحترام جميع أتباع الديانات.

أما الينابيع، التي يعتقد الآن أنها مسكونة بالأرواح، كانت ينادى بمقدسة منذ العهد الكنعاني، وظل نوع من الرهبة، تجاهها، يكمن في أنفس كل سكان فلسطين بطوائفهم المتعددة، وإذا كانت أشكال الاحترام قد تغيرت، فإن الجوهر ظل واحداً. ومن الأمثلة على هذه الينابيع: عين سلوان (القدس)، حمام ستي مريم، عين العذراء، في الناصرة، بئر عون... الخ.

وفي بلد مثل جفنا يذهب القسيس إلى البئر الذي يجف ليتلو الصلوات ويحرق البخور بهدف استرضاء الجن. ويفعل ذلك، في أماكن أخرى رجال دين ومشعوذون مسيحيون ويهود ومسلمون.

إن الدكتور كنعان يربط بين التراث الشعبي الفلسطيني المعاصر وعادات الفلسطينيين القدماء، وعند مراجعتنا لبحثه «النور والظلام»<sup>(١٣)</sup>، نشعر بمدى انتشار تلك الأفكار والتي هي جزء من مجموعة الأفكار والخرافات والعادات لسكان فلسطين منذ العهود السامية القديمة، فالنور والظلام، والنهار والليل، والأبيض والأسود، كل ذلك يمثل قوى شريرة خارقة للعادة تتصارع مع بعضها البعض، ثم يبرز كنعان مثيلات تلك الأفكار في التوراة والانجيل وبهذا المفهوم يجوز لنا أن نتصور بأن الدكتور كنعان يؤمن بوحدة الموروث الشعبي لفلسطين، ففلسطين هي الوعاء الثقافي الذي احتضن أشكالاً ثقافية متشابهة تعود لاتباع ديانات مختلفة أنه ينظر هنا للتراث من زاوية صلة الإنسان بالأرض، وحقيقة أن «الثقافة والموروث بشكل خاص، هو انعكاس لظروف تفاعل الإنسان مع الأرض». إنه يتحدث عن تراث «فلسطين» بغض النظر عن التسميات الدينية لليهود والمسيحيين والمسلمين، وخاصة أن الأفكار الدينية لم تسجل اختلافات ضمن وعاء الموروث الشعبي الفلسطيني.

وعلى الرغم من أن الدكتور كنعان قد لمس هذه الموضوعات وأشار إليها كثيراً في ثنايا أبحاثه المختلفة، إلا أنه لا ينسب لنفسه صفة الباحث الذي يقوم بمهمة الدراسة المقارنة،

وإنما يكتفي، وضمن تواضع العالم بالقول بأنه «جامع للمادة الفولكلورية». يقول في مقدمة دراسته عن الجن:

«إن جزءاً من الاعتقاد بالخرافات يعود إلى ثقافات قديمة. بالنسبة لي كنت مهتما بجمع هذه المواد الفولكلورية، لكن المتخصصين من بعدي سيقومون بعملية مقارنة لأفكار هذا الشعب مع شعوب أخرى. وهذه الدراسة تساعدنا على فهم المعتقدات البدائية».

ويمكن المجازفة بالقول بأن جهد الدكتور كنعان لم يكن بعيداً عن الجهد الاستشراقي لفلسطين، وسيرى القارئ المتمعن لأبحاث كنعان بأنه يكتب أحياناً وكأنه مستشرق، أو ينظر للأمر من خلال منظار المستشرق، فهو يتحدث عن فلسطين، التي هي بلده ومسقط رأسه من منظار استشراقي. لقد كان المستشرقون الذين كتبوا عن تراث فلسطين واحداً من اثنين:

مستشرق أنكر دور الحضارة الكنعانية في التراث الثقافي لفلسطين، وبدأ من عهد التوراة، ومستشرق بدأ منذ فجر الحضارة الكنعانية، وكان كنعان واحداً من الفئة الثانية وعلى الرغم من ذلك فإن كنعان كان جزءاً من الأداة الاستشراقية. كان عضواً في جمعية استشراق فلسطين، ثم رئيساً للجمعية. وظل بعد ذلك يواصل الكتابة في استشراق فلسطين حتى يوم وفاته. وفي بعض الأحيان يشعر القارئ أن كنعان يكتب عن الشرقيين وكأنه ليس واحداً منهم، كقول كنعان في بحثه عن «الطفل في المآثورات الشعبية الفلسطينية»: -

- «يخاف الشرقيون البرد ويرهبونه».

ومن زاوية المفهوم الجغرافي لأعمال الدكتور كنعان، فإننا نشعر بأن الحدود الجغرافية لأبحاثه تمتد من جنوب القدس إلى شمال نابلس، وإن كنا نجد أمثلة فولكلورية في دراساته لمواقع في الجليل والساحل وبئر السبع وشرقي نهر الأردن.

مادة من الدرجة الأولى:

ومن وجهة النظر العلمية البحتة لا يستطيع أحد أن يتجاهل بأن الدكتور كنعان، قد جمع مادة فولكلورية فلسطينية من الدرجة الأولى (First Hand)، فهو قد جمع مادته مباشرة من أفواه الناس، عندما كان الشعب العربي الفلسطيني يشكل الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين، وعندما كانت تلك الأغلبية تمارس الحياة الشعبية بمفهومها الدقيق والبدائي. لقد جمع كنعان كلا من المادة الأدبية والعينية المادية للتراث الشعبي الفلسطيني ومن أصحابها الأصليين والخرز، وقام بنفسه بتفحص الينابيع والمزارات

والأشجار والمعابد، تفحص المعمار والزخارف والطقوس أثناء ممارستها. وشاهد المواسم الشعبية والاحتفالات وعاش مع الناس الذين قاموا بتلك الطقوس والممارسات. ولذلك فإن الكاتب الحالي يرى أنه لا يمكن لأي باحث في الفولكلور الفلسطيني أن يكتب عن الواقع الحالي للتراث دون الاستعانة بما كتبه كنعان.

ومن هنا فإنني أعتقد بأهمية ترجمة ونشر وتعميم دراسات كنعان لتكون في متناول القارئ العادي، والباحث المختص على حد سواء، كما أنني أرى أن نشر الأعمال الكاملة للدكتور كنعان هي بداية هذا المشوار، ويبقى علينا أن نترجم وننشر أعمالاً لباحثين من نوعية الدكتور كنعان من أمثال: عمر الصالح البرغوثي، وأسطفان أسطفان والياس نصر الله حداد، وأمثالهم ممن نشروا مادة علمية في التراث الشعبي الفلسطيني باللغتين الانجليزية والألمانية. وعلينا أن نواصل التنقيب في بطون الكتب والدوريات الاستشراقية لعلنا نجد بحوثاً فولكلورية لباحثين فلسطينيين كتبت بالفرنسية، الإيطالية، الروسية، الإسبانية، أو غيرها من اللغات على سبيل المثال، وضمن ما أعلم، هناك كلثوم عودة (من الناصرة) قد كتبت في الفولكلور الفلسطيني باللغة الروسية. وبعد انجاز هذه المرحلة لا بد من أن نترجم وننشر أعمال المشاهير الأجانب في الفولكلور الفلسطيني، من أجل أن تكتمل الصورة لدى القارئ والباحث المعاصرين. لا بد من ترجمة أعمال جوستاف دالمان (الالماني) وخاصة: «العمل والعادات في فلسطين» الذي ظهر في ثمانية أجزاء، وعمله المشهور: «الديوان الفلسطيني»، ولابد من ترجمة الكتب الخمسة التي وضعتها هيلما جرانكفيست (الفنلندية) عن الحياة الشعبية في فلسطين: الزواج (في جزأين)، الولادة والطفولة (في جزأين)، والوفاة (في جزء واحد). وتظل هناك أعمال أخرى مهمة مثل أعمال ساريزالوا (الفنلندي) عن أغاني الدروز، وهنري شبير، عن نمر بن عدوان، والعادات في القبيبة.

ذلك ما يجب أن نفعله بسرعة، وتلك هي مهمتنا العاجلة ضمن نطاق أعمال المركز الفلسطيني للفنون الشعبية في المنفى.

توثيق المراجع والرواة:

كان توثيقه للرواة في مرتبة أدنى من عمل بارز في هذا المجال مثل عمل الدكتور هيلما جرانكفيست، في دراساتها المشهورة عن دورة الحياة اليومية في فلسطين، كان كنعان يذكر الرواة، دون أن يوثق المعلومات عن الرواية: قريته أو مدينته، عمره، حرفته تاريخ الحصول على الرواية... الخ. في حين أوردت هيلما جرانكفيست تفاصيل كاملة عن بعض رواياتها مثل «حمدية - من اربطاس». وفي الكثرة الكثيرة من الحالات كانت جرانكفيست

تورد النص الكامل لرواية الراوية، وبالحرّف كما سمعته. وزيادة في التوثيق كانت تدون النص المروي بالحرّف اللاتيني، فضلاً عن ترجمته بالانجليزية. ومن الامثلة على توثيقه:

عن تعبير «زيت افغيش»<sup>(١٤)</sup> يقول كنعان في الهامش موثقاً المرجع: «سمعت التعبير في الناصرة» ولكنه لا يقول لنا شيئاً عن اسم الراوية، وعمره.

وفي نفس المقالة نراه يوثق المرجع بقوله:

- سمعته من عمر أفندي الصالح البرغوثي<sup>(١٥)</sup>.

- سمعته من السيد آ. فارس<sup>(١٦)</sup>.

ولا بد من الاشادة بقدرة الكتور توفيق كنعان، وصبره وأناته في توثيق النصوص التي أوردها بالعامية للأغاني والأمثال والأقوال السائرة وأسماء الاشخاص والمواقع والمقامات والآبار ونحو ذلك، فقد قام بايراد المسميات والتعابير مكتوبة بالحرّف اللاتيني، وبالترجمة الانجليزية أو الالمانية. وقد كان لدقته وأناته دوراً في حفظ التسمية الشعبية، أو النص الأصلي للمأثور الشعبي، الذي كان من الممكن أن يضيع شكله، ولا يبقى منه سوى معناه.

وبذلك حفظ لنا الكثير الكثير من الألفاظ العامية كما كانت تقال في عصره، وحفظ لنا نصوصاً عامية وثقت لأسلوب التعبير في الأدب الشعبي في المرحلة التي عاش فيها د. كنعان وفي توثيقه للمراجع نجد أحياناً ذكراً لمرجع واسم مؤلفه دون مكان الطبع وسنته<sup>(١٧)</sup> أو رقم الصفحة التي يشير إليها.

ويوثق الاشارة لمقالاته، توثيقاً شبه كامل في بعض الاحيان<sup>(١٨)</sup>.

وفي توثيقه للعيون والآبار والمقامات والاشجار المقدسة يدهشنا اهتمامه بتفاصيل الاسماء والمواقع، والاحصائيات المتعلقة بذلك والاستنتاجات الاحصائية بالنسب المئوية.

الجانب الرومانسي في أعمال كنعان:

عندما تقرأ أعمال الدكتور كنعان بالانجليزية أو الالمانية فإنك تصاب بالدهشة لقدرة ذلك الباحث الفولكلوري الفلسطيني على الصياغة بلغة علمية جميلة تدفعك لحب وتقدير الحياة الشعبية العذراء في فلسطين. وتساعد: لغة «كنعان» على تخيل طبيعة الحياة الشعبية الفلسطينية وتلمس جمالياتها وتذوق نكهتها من خلال الوصف الدقيق العلمي والصادق.

\* ينقلك الدكتور كنعان إلى أجواء ي نابيع فلسطين المسكونة بالعرائس والقوى الخارقة للطبيعة.

\* يروي لك أطرف المعتقدات الشعبية السحرية التي تعيد لك الصورة الساحرة لفلسطين طاسة الرعبة، الأواني السحرية، الطلاسم... الخ.

\* يربط الدكتور كنعان بين فولكلور فلسطين منذ العهد الكنعاني (فجر التاريخ المدون في فلسطين) وكما كانت الحياة في عهد الأمير سنوحي - الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً - وبين فولكلور فلسطين المعاصر في أوائل القرن العشرين، وقبل أن يغير الاحتلال وجه فلسطين العربي المشرق.

\* في أكثر من ٣٠٠ صفحة من مادة المعابد الكنعانية ينقلك الدكتور كنعان إله أجواء المقامات ومزارات الأولياء في قمم الجبال الفلسطينية... صفحات نابضة بالحياة تنقل إليك رائحة الشموع والبخور الذي يحترق... تكاد تشعر برائحة الاضحيات... وتسمع أصداء الرقصات والمواكب والاحتفالات وأغاني الدراويش ودق الصنوج والعهده في أبهاء المزارات الشعبية الفلسطينية.

\* يندر ألا تجد قرية أو خربة أو موقع من الجغرافيا الفلسطينية، لم يتحدث عنه د. كنعان، يتحدث عن الموقع وكأنه من أبنائه... تفاصيل جميلة تبعث لكل قارئ ذكريات أجمل يخترنها في ذاكرته.

\* يروي لنا الدكتور كنعان الحكايات والخرافات المتعلقة بالنباتات والطيور والحيوانات والمغر والكهوف والآبار والوديان... وطقوس دورة الحياة اليومية... والطب الشعبي وحياة الأطفال.

\* أعمال توفيق كنعان، بثوبها العربي، تشعل شمعة جميلة تضيء أمامك صورة الجبال التي يكلها الزيتون واللزاب، والسهول التي تموج بالسنابل الخضراء، والبنات بالثياب المطرزة بالألوان الزاهية، ووجوه الفلاحات الصبوح المشرقة التي تنطلق لمواسم الحصاد وساحات الاسواق في صباح يوم ندى ربيعي... واصداء أغاني الحصاد وأصوات المناجل، وطرقعة كرباج الحراث... وزقزقة الزرع والرنجس والحنون.

\* تحيي أعمال الدكتور كنعان في الذاكرة صورة الوطن، وتخلق في نفسك الأمل والعزيمة على مسح الغيمة السوداء التي نشرها الاحتلال على جبينه وتضيف سجلاً لأقدس ذكرياتك عنه<sup>(١)</sup>.

(١) انها ليست عملية تقديم دعائية. سيكتشف القارئ لهذه الأعمال، ربما ما هو أهم من ذلك.

## دراسات توفيق كنعان في الفولكلور الفلسطيني

### د. نمر سرحان

لا نعرف الكثير عن الحياة الشخصية للدكتور توفيق كنعان (\*)، رائد حركة إحياء الفولكلور الفلسطيني، وإن كنا نملك مادة وفيرة من كتبه ومقالاته التي استمر ينشرها تباعاً ابتداءً من العشرينات من هذا القرن. وقد كان يعمل طبيباً في المستشفى الألماني في القدس. وأصبح في عام ١٩٢٧ رئيساً لجمعية الإستشراق الفلسطينية. ويبدو أن الدكتور كنعان نشر معظم دراساته وأبحاثه باللغتين الانكليزية والالمانية<sup>(١)</sup> وأما المادة الوفيرة التي جمعها عن ملامح الحياة الشعبية الفلسطينية كانت مكرسة لتعريف الإنسان الغربي بحياة سكان فلسطين - الأراضي المقدسة.

وتقول د. هيلما جرانكفيست، الباحثة الفنلندية المتخصصة في دراسة الحياة الشعبية الفلسطينية، إن د. توفيق كنعان باحث محنك تفرس في دراسة المأثورات الشعبية الفلسطينية منذ فترة طويلة. وتصفه بأنه صديق قديم لها، تعرفت عليه أثناء عملها في ميدان الفولكلور الفلسطيني، في الفترة بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٣١. وفي عام ١٩٥٩ قابلته جرانكفيست ثانية، عندما زارت القدس مجدداً، وتقول جرانكفيست أن الرجل إذ ذاك كان مريضاً. وكان قد فقد بيته ومكتبته ومجموعاته ومخطوطاته، عندما أصبح بيته في المنطقة الحرام في القدس بعد حرب عام ١٩٤٨. ومع ذلك فهي تشهد له في ذلك الوقت، بأنه ظل على نشاطه المعهود ويكتب، ويجمع المادة الفولكلورية الخام، ويلقي المحاضرات في هذا المجال.

ونحن بذلك الحماس المتوقد لدى الدكتور توفيق كنعان، والرغبة الصادقة في جمع ملامح الحياة الشعبية، في ما يكتبه في مقدمة كتابه «المزارات والأولياء المسلمون في فلسطين» حيث يقول: «إن الملامح البدائية لفلسطين تختفي بسرعة كبيرة. ولن يمضي

\* كتبت هذه المادة قبل أن تنشر يسمى كنعان «سيرة حياة المرحوم الدكتور كنعان»، والتي يجدها القارئ بعد هذه المادة مباشرة، «المحرر».

- (١) Journal of Palestine Oriental Society.
- (٢) Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine, Jerusalem 1927.
- وقد اعادت نشر الكتاب في طبعة ثانية:
- Ariel Publishing House, P.O. Box 3328, Jerusalem.
- (٣) في عام ١٩٢٧ أصبح الدكتور كنعان رئيساً لجمعية استشراق فلسطين:
- «Palestine Oriental Society».
- (٤) Mohammedan Saints and Sanctuaries, op.cit, P. VI.
- (٥) Baldensperger, Philip; Immorable East, London, 1913.
- انظر ما جاء في هذا المرجع صفحة (XIV) حول الفرضية بأنه لو نهض كنعاني من قبره، بعد وفاته بأربعة آلاف عام، دون أن يعلم بأن مذبح الاله بعل قد تغير واصبح ليهوه، ثم لليونان والرومان وأتباع المسيح، وأخيراً للمسلمين، فانه أي ذلك الكنعاني لن يجد تغييراً كبيراً على الحياة في فلسطين كما عرفها ومارسها هو.
- (٦) Mohammedan Saints and Sanctuaries, P.
- (٧) Mission de phenicie, P. 213.
- (٨) A.R.S. Kennedy in Hastings' Dictionary of the Bible.
- (٩) مجير الدين، ص ٢٣٨. والذي يظن ان الربعة مدفونة في هذا المكان.
- (١٠) Alt, E in vergessens des Propheten Elias, ZDPV, XL VIII, p. 393.
- (١١) Aberglaube, p. 32.
- (١٢) Aberglaube, p. 32.
- (١٣) انظر مقالة (النور والظلام) - الاعمال الكاملة، ص ٨٦٧. ومن الأمثلة على الموروث الثقافي المشترك لأصحاب الديانات السماوية، والتي يوردها كنعان، هو وصف كل من اليهود والمسيحيين لكتبهم الدينية باسم (نور).
- (١٤) Canaan, Light and Darkness, JPOS,
- الهامش رقم ٤، ص ٢٢.
- (١٥) نفس المقالة، ص ١٩، هامش رقم ٤.
- (١٦) نفس المقالة، ص ١٩، هامش رقم ٥.
- (١٧) نجد في هامش مقالته:
- Child in Palestinian Arab Superstition, JPOS, p. 182, 1.: Hanauer, Folklore of the Holy land.
- (١٨) في الهامش رقم ٢، ص ١٧٨ من مقالته:
- The Child in Palestinian Arab Superstition.
- Canaan, JPOS, VI, 58.

فهناك ذكر للمجلة ورقم العدد والصفحة دون أن يذكر اسم المقالة.

يوثق هكذا:



وقت طويل حتى تتلاشى هذه الملامح نهائياً. ولذلك فإنه من واجب كل طالب ودارس فلسطيني متخصص في دراسة الفولكلور، أن لا يضيع أدنى وقت، وأن ينشط لجمع العادات والمعتقدات الشعبية، والملامح الفولكلورية الدارجة في فلسطين». ويضيف الدكتور كنعان في مكان آخر من المقدمة، فيقول: «وأنا كأبن لهذه البلاد شعرت أنه من واجبي أن أعاون في هذا الجهد العلمي. وبما أنني لا أدعى أنني دارس محترف، فإنني أحاول هنا أن أضع المادة الفولكلورية الخام كما جمعتها، تاركا للدارسين المحترفين أمور تفسيرها ومقارنتها».

وتأتي دراسة الكاتب الحالي لأعمال توفيق كنعان، المنشورة بالإنجليزية، كمحاولة أولية لنفض الغبار عن تلك الأعمال الأصيلة، تمهيدا لنقلها، أو نقل الأفكار الرئيسية فيها إلى اللغة العربية، والتنويه بأبرز ملامح الحياة الشعبية، وعلى الأخص منها المعتقدات الشعبية التي تبرز الثقافة الأساسية والبدائية للإنسان الفلسطيني. وتكمن أهمية المادة التي جمعها الدكتور كنعان في أنها قد جمعت في وقت مبكر من هذا القرن، ذلك الوقت الذي عاش فيه العديد من الرجال والنساء المسنين، الذين عاشوا ومارسوا تلك المظاهر الحياتية، التي أثبتتها لنا الدكتورة توفيق كنعان. ومن جهة أخرى، فإن الكاتب الحالي يشعر، أنه من الضروري جدا، أن يلفت إنتباه المؤسسات الثقافية الوطنية والأفراد ذوي الإهتمام والغيرة على تراث الشعب الفلسطيني، إلى أهمية مثل هذه الدراسات، التي تصور طابع الشعب، وتخلق الصلة المعنوية بين الإنسان الفلسطيني المشرّد وبين أرضه المحتلة، التي يحاول الأعداء أن يطمسوا معالمها، ويذبيبو شخصيتها، تمهيدا لابتلاعها، وإنكار حق أهلها فيها. إن إثبات مفردات الحياة الشعبية الفلسطينية في عمل موسوعي كبير، مدعم يكشف بالمراجع الأجنبية والعربية، والتي تعرضت لدراسة الحياة الشعبية الفلسطينية، وخاصة ما نشر منها قبل الهجمة الإمبريالية الصهيونية على أرض فلسطين، يمكن أن يضع أمام القارئ العربي والأجنبي صورة وثائقية عن حياة الشعب، الذي يعيش الآن في المنفى، وتوضح العلاقة الوثيقة بين الناس والمشردين وأرضهم المحتلة.

### المزارات والأولياء في فلسطين<sup>(١)</sup>

تعتمد دراسات الدكتور كنعان لهذا الموضوع على زيارته وملاحظته الشخصية لـ ٣٢٥ مزارا في فلسطين، كما أنه جمع معلومات وافرة عن ٣٤٨ مزارا آخر. يقول د. كنعان أنه كان يحضر الإحتفالات والأذكار والموائد، التي كانت تقام في تلك المزارات. كما جمع مجموعة كبيرة من الحكايات، التي تفسر الظواهر المتعلقة بموضوعه، واعتمد في دراسته على مجموعة من الأشعار الصوفية والمدائح والأمثال والأقوال المأثورة. وكانت لديه مجموعة

من الحُجُب التي صنعها المشايخ بهدف البركة، والعلاج الشعبي. يقول د. كنعان عن طبيعة دراسته: «إن هذه الدراسة توصل القارئ بشكل مباشر إلى الحياة اليومية في فلسطين، وتوضح كل ما هو غامض في أذهان الناس، في مجال المعتقدات والخرافات الشعبية كما تعطي هذه الدراسة - مقارنة مع ما كان سائدا في الأزمان البدائية - وتظهر أن العديد من المعتقدات والخرافات ظلت منذ آلاف السنين عالقة في أذهان الناس في الوسط الشعبي». ويعرف الدكتور كنعان المزار ويقول: «إنه لا يعني بالمزار ذلك المكان الذي يدفن فيه نبي أو ولي من أولياء الله المعروفين فحسب، بل يعني بالمزار كل حرم أو معبد أو ضريح أو شجرة أو شجيرة، أو كهف أو نبع أو بئر أو صخرة، والتي يوليها الناس تقديسا، وإحتراما خاصا، سواء كان ذلك يعتمد على معتقدات دينية أو خرافية.

وبعد ذلك يفيض المؤلف في دراسة مواقع المزارات المنتشرة في فلسطين وأنماطها، ويدرسها من الناحية المعمارية، والمعتقدية، ويوضح وجود النموذج الأمثل للمزار، الذي يضم ضريحا وقبة ومقاما، وتلك المزارات التي لا تحوي ضريحا، وتلك التي هي مجرد «حويطة» أو كومة من الحجارة. ويعدد المزارات بأسمائها ومواقعها في فلسطين.

ويتحدث المؤلف عن الطقوس والممارسات الدينية، التي يمارسها الشعب في هذه المزارات، والتي تتلخص في أداء العبادات، وقسم الإيمان والوفاء والنذور، وطلب البركة والشفاء. ويذهب الفلاح الفلسطيني إلى المزار للحصول على البركة، التي تشع من المكان المقدس لكل شخص يتصل به، أو يمر بيده على الستائر والضريح والبناء. كما اعتاد الناس أن يودعوا ممتلكاتهم المنقولة، لتكون في حمى الولي، أما الممتلكات غير المنقولة، مثل المحاصيل في الحقول، فإنهم يضعونها «بوجه الولي»، أي يعلنون أنها تحت حمايته، فلا يجروا أحد على مسها.

ومن الممارسات الشعبية في المزارات ذات الصبغة السحرية، ربط الخرق بنوافذ المزار وأشجاره. ويعلم المؤلف هذه الظاهرة فيقول أنها تهدف إلى إثبات زيارة الإنسان للمقام، وتذكرة الولي بالزائر ورغبته. ويربط المريض الخرق ويقول: «رميت عليك حملي يا ولي الله». وهذا النوع من الممارسة الشعبية يسمى بالسحر الإتصالي. إذ أن كل شيء كان على اتصال بشخص ما، أو كان له به علاقة سوف يستمر بحمل العلاقة مع ذلك الشخص. وهكذا تظل الخرق تحمل رغبات الشخص الزائر، وأمله بالشفاء. وبمرور الوقت تأخذ الخرق شيئا من قوة الولي، وتنقلها للمريض. ويذهب الفلاح لزيارة اولياء الله في مزاراتهم، طالبا الشفاء، وواعدا الولي بتقديم أضحية، إذا من الله عليه بالشفاء. وقد يأخذ الفلاح شيئا من الزيت أو القماش أو الماء أو الحجارة من المزار، أو مما يجاوره، ويستعمل كل ذلك كوسيلة للحصول على الشفاء. كما يذهب الناس، ومعهم أحد المتهمين بارتكاب

ذنب ما ليقسم اليمين في المزار. وفي ذلك تأكيد للمتهم بأن الولي سيتسبب في إيذائه، إذا كان كاذبا. ويورد المؤلف نص أحد الإيمان الشعبية، التي كان يؤديها المتهم في المزار. يقول اليمين: «والله ومحمد رسول الله/ والله وما أعز من الله/ وحياة هالعود والرب المعبود والنبي داهود/ والصليب الحي/ وحق القبلية المحمدية/ وحق هالكنيسة والساكين فيها/ وباب هالشرق معبد النصرى/ والكعبة/ والمهد الشريف/ والمصحف/ ولحية النبي/ وحق عويينة هالشمس المغربة لطاع ربها/ وحياة هالشارب/ وحياة الماي\* المطهرة الحي والميت/ وحياة الماي الجارية والسماوات العالية/ وحياة هالشجرة اللي تشرب من عرقها، وبتسبح ربها/ وحياة هالبساط الأخضر، اللي طلع من الأرض خرسا طرشا، وحق من يعلم كم ورقة في هالشجرة، وكم شعرة في هالحيوان...».

وتقدم ألدور للمزارات، ولوجه الشيخ، وفاء بوعد قطعه المريض، أو صاحب حاجة. ويقول الشخص «نذرن علي لأقدم كذا وكذا، إذا شفي ابني، أو حملت زوجتي أو...» ومن الأشياء التي تقدم وفاء بالنذور، تقدمات لتجميل المزار، وإصلاح بنائه، كما تقدم الأضحيان، أو المساعدات المالية للفقراء بإسم شيخ المزار، أو الولي.

### المعتقدات الشعبية حول الماء والآبار والينابيع<sup>(٢)</sup>

لقد احتل الماء - وما زال - مركزا ممتازا في حياة الشعب الفلسطيني وسكان الأرض العربية، نظرا لندرته،. واتخذ تلك الأهمية الكبيرة، بحيث أصبحت استعمالاته تمس أمورا مقدسة وممارسات اعتقادية، تتصل بالطب الشعبي، والإحتفالات الدينية، ومضامين الخرافات. ولم يقتصر استعمال الماء ضمن هذه المعتقدات على الأحياء، بل الأموات يحتاجون الماء. ويقول المعتقد الشعبي أن أرواح الموتى تنطلق أيام الجمع، وهي تحمل «ظروف» الماء، لتملأها من الينابيع.

يناقش الدكتور كنعان في دراسته لهذا الموضوع مسألة وجود «الينابيع المسكونة»، والتي مؤداها أن ينابيع معينة، تسكنها أرواح خيرة أو أرواح شريرة. ولا تظهر هذه الأرواح إلا لشخص وحيد في النهار، أو في ساعات الليل. ومن أهم الأسباب التي تجعل الناس يعتقدون أن نبعا معينة مسكونا، وهي أن يكون النبع في مكان مهجور، أو في غابة أو دغل كثيف الأشجار، وأن لا تصل أشعة الشمس إلى مصدر النبع. ويتحقق ذلك الإنعزال بوجود كهف، أو شق من الصخور، أو قنال قديم يكون مدخلا للنبع. وتبدو هذه الظروف مواتية ومحبة للأرواح، وتكون على اتصال بداخل الأرض وبالنجم «زحل». ويستعرض د.

\* الماء

كنعان الينابيع التي تنبثق بشكل دوري، أي أنها تدفع مياهها في وقت ما، في حين تتوقف عن الجريان في وقت آخر. وتلك مسألة أثارت خيال الناس، وانبثقت عنها معتقدات خرافية جميلة. لقد وجد الناس تفسيراً ذا صلة بالإعتقاد بالارواح الحارسة للمياه، وهو اعتقاد منسجم مع الموروثات الدينية. إنهم يعتقدون أن العين الدورية تسكنها اثنتان من الارواح: الأولى روح بيضاء، والثانية روح سوداء. وكلا الروحين في صراع سرمدى دائم. وعندما تنتصر الروح الحرة، تفسح المجال أمام الماء، لينساب لمنفعة البشرية العطشى. ولكن سرعان ما تنهض الروح المستعبدة السوداء، وتستأنف المعركة. وعندما تنهزم الروح الحرة، يغلق منفذ الماء.

ويعطي د. كنعان تفسيراً مبنياً على معتقد شعبي لظاهرة الينابيع الساخنة. يقول: «هناك عدد كبير من الأرواح تسخن المياه باستمرار، قبل أن تنفذ إلى سطح الأرض. ويستحضر الوقود من مسافة بعيدة. لقد أمر الملك سليمان الجن أن يقوموا بهذا العمل، ليمنحوا سكان فلسطين حماما طبيعيا ساخنا، وبما أن الأرواح عمياء وطرشاء، ولا تعلم بموت سيدها الملك، فقد ظلت تخشى عقابه، واستمرت تقوم بعملها. ويسود اعتقاد مماثل حول «الحمام التركي» إذ يقال: «سكانه بحموه» أي أن الأرواح التي تسكنه، هي التي تسخنه.

ويرى د. كنعان أن هناك صلة بين المعتقدات الحالية للشعب الفلسطيني، وبين المعتقدات الأثنولوجية القديمة لسكان فلسطين. وهو يرى أن الينابيع التي يعتقد الآن بأنها مسكونة بالارواح، كانت في الماضي ينابيع مقدسة، ومكرسة لعبادة الآلهة المتعددة في فلسطين. وأن أرواح الآلهة لا تزال تزور تلك الينابيع - على حد المعتقد الشعبي - وإن تغيرت أشكالها، وقد ظلت الفكرة الأساسية سائدة. ويعتبر د. كنعان المعتقدات الحالية كرواسب متبقية من الممارسات الدينية القديمة في فلسطين. ويفسر ذلك أن العديد من الينابيع الموجودة حاليا ظلت تؤدي أغراضا علاجية، كما هو الحال منذ عهد التوراة \* . ومن ذلك عين سلوان، وحمام ستنا مريم، وعين أم الدرج، وحمام الشفا. وللسبب نفسه نجد أن هناك تقدمات تقدم للأرواح حارسة المياه، فتقدم الشموع والأزهار لحمام ستنا مريم، وتقدم المصابيح لغير هذا النبع. وتؤدي صلوات وأدعية ويحرق بخور عند بعض الينابيع، كما هو الحال عند نبع جفنا، ونسمع عند بعض الينابيع صلاة، وصوت جمهور

\* يود كاتب هذه المقالة أن يصحح رأيه، لمناسبة نشر المادة للمرة الثانية، فيقول: بأن تلك الينابيع ظلت تؤدي أغراضاً علاجية، كما كان الحال عليه منذ العهد الكنعاني، السابق لعهد التوراة، باعتبار أن عهد الكنعانيين يمثل أقدم الجذور الثقافية للفولكلور الفلسطيني.

غير مرئي.

إن ملاحظات د. كنعان حول الآبار المسكونة بأرواح خيرة وشريرة، تدور حول الخوف من الأرواح بنوعيتها، وإذا كانت أرواح أولياء الله تقدم العون للأخيار، فإنه لا يجوز الاقتراب منها في حالة لا تظهر عدم الإحترام لأولئك الأبرار. ولذلك لا يجوز لامرأة مؤمنة أن تقترب من نبع مقدس، أو تمسه، وهي غير طاهرة.. وإذا حصل ذلك فإن الولي سيعاقب مثل هذه المرأة بإصابتها بمرض في جسدها. وقد يعاقب البلد بأكمله، ويوقف جريان النبع. ولذلك لا يجزؤ أحد على الإقتراب من نبع تسكنه روح رجل مقدس، دون أن يذكر اسم الله، أو إسم الولي، أو القديس الذي يسكن ذلك المكان، وخاصة إذا كان الوقت ليلاً، أو كان الشخص يسير ليلاً بمفرده في مكان مهجور. وإذا لم يفعل الشخص ذلك فإنه سيلقى المتاعب. أما الأرواح الشريرة التي يمكن أن تصادف شخصاً ما، فإنها قد تتبعه وتصيبه بالمرض والضعف، وحتى الموت. ويمكن أن تقوم هذه الأرواح بتجفيف مياه هذه الينابيع، وخاصة إذا اقتربت منها امرأة غير طاهرة. وفي جفنا، فإن القسيس يذهب إلى البئر الجاف فيتلو الدعاء ويحرق البخور، ليسترضي الجنية، أو يجبرها على إطلاق سبيل الماء.

وهكذا يكون الخوف من الأرواح، بنوعيتها، القاسم المشترك للمعتقد الشعبي حول هذه الكائنات التي تحتل مكاناً غامضاً جداً في أذهان الناس.

### الأواني السحرية<sup>(١)</sup>

طاسة الرجفة أو طاسة الرعبة، إناء ذو قدرة سحرية مبنية على الكتابات المثبتة عليه، فإذا شرب من مائه الشخص الخائف فإنه يشفى. وقد أجرى د. كنعان دراسات على ٥٨ عينة من الإناء المعروف بطاسة الرجفة (أو طاسة الرعبة، الخوفة، الخطة). ولا يتوقف أثر هذا الإناء السحري على شفاء المصاب بحالة الخوف، إنما هناك العديد من الأمراض التي يشفى أصحابها إذا ما وضعوا الماء في هذه الطاسة، وشربوا منه. وقد أورد المؤلف عشرات من الكتابات التي نقشت على تلك الأواني، والتي توضح القدرة الشفائية السحرية لتلك الآنية. وأنقل للقارئ إحدى هذه الكتابات كما أوردها المؤلف حرفياً: «وبإذن الله تعالى تشفى هذه الطاسة النادرة من السموم كلها، وقد جمع فيها منابع مجربة، وهي للسعة الحية والعقرب والحمّا\*.. للمطلقة والفرس المعلقة للكلب وللمغص وللقولنج للشقيقة

\* والحمى

للطحال والقوة... للدم ولإبطال السحر وللعين وللنظر وللرمد والنزلة والرياح والأرواح والبواسير للخلط البارد ولسائر العلل». وتتضمن كتابة أخرى على إحدى هذه الأواني رموزاً غير مفهومة، وإن كانت ذات دلالات سحرية عند كاتبها. من ذلك هذه الكتابة التي تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت، وإذا الأرض مدت، وألقت ما فيها وتخلت كذلك تلقى الحامل للجنين سالماً بإذن الله، والله يخرجهم اخراجاً، وإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً. انصرف أيها القولنج يانوح بنوح كلوخ كلخ ألم المرح م ع س ق ك ه ي ع ص ط ه س م ي س ن».

ويفسر د. كنعان دور الآنية السحرية تفسيراً يتصل بالأعتقاد بقدرة النجوم، والذي يلعب دوراً مهماً في حياة الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني. وهناك اعتقاد أن لكل شخص برجاً خاصاً، وهذا البرج يحكم مجرى حياته. وأن علاقة هذا البرج مع غيره، يسبب لصاحبه الخير أو الشر. ولذلك فإن على كل شخص أن يعرف نجمه، ولما كان ذلك صعباً، فإنه يشرب من «الطاسة»، والتي فيها الأبراج الإثنا عشر، والمتضمنة برج ذلك الشخص بالتأكيد. ويورد المؤلف حكاية عن أصل هذه الطاسة، فيقول: إن الجن اعتادت أن تستعمل مثل تلك الطاسة في الإستحمام. وذات مرة ذهب جنياً ليستحم بالقرب من نبع، وبعد أن أنهى الإستحمام نسي الوعاء السحري بالقرب من النبع. واتفق أن مر بالمكان شخص محظوظ، وجد الوعاء فأخذه. وفي وقت قصير تمكن ذلك الرجل من اكتشاف مميّزاته. وبمرور الزمن صنعت نسخ من الأصل أثبتت أن لها مميزات الأصل نفسها. وتدل هذه الحكاية على أن القوة السحرية لا تعود لمعدن الإناء، وإنما للكتابات الموجودة عليه، والمتضمنة كلمات من القرآن وأسماء الله، والملائكة والكواكب والنجوم والجمال السحرية. وهنا يكمن السبب في أن طاسة الرجفة لا يجوز أن يمسه سوى شخص طاهر، كما أنها تلف وتحفظ في مكان نظيف طاهر، وباحترام كبير. وإذا اضطر شخص غير طاهر لنقلها، فإنه لا يمسه بل يلفها بقطعة من القماش. وهناك من يعتقد أن هذه الطاسة ربما فقدت بعض قوتها إذا تعرضت للشمس الساطعة. وتستحضر الآن معظم نماذج طاسة الرجفة بواسطة الحجاج، الذين يذهبون إلى مكة، لأداء فريضة الحج. ويعتبر الناس أن تقديم هدية مثل طاسة الرجفة، شيء ذو قيمة كبيرة جداً. ولا يقتصر استعمال طاسة الرجفة على الوسط الشعبي المسلم. وتتضمن قائمة الأواني التي أجرى عليها الدكتور كنعان دراساته، أوانٍ مأخوذة من أسر مسيحية.

### البيت العربي الفلسطيني<sup>(٢)</sup>

كرس الدكتور كنعان الجزء الأكبر من دراسته للتحدث عن البيت العربي

الفلسطيني، من حيث معماره ومواد بنائه. واستعرض لذلك البيت الحجري، المبني من الطين، والبيت القروي، والبيت في المدينة، ودرس الخيمة، وأعطى صورة واضحة عن المعمار الفلسطيني. وفي الجزء الأخير درس د. كنعان الجوانب الفولكلورية للبيت، مكرسا معظم ما كتبه للمعتقدات الشعبية المتعلقة بعمارة البيت وسكانه، والتصوير الشعبي للأمور المتعلقة بذلك.

يقول د. كنعان أن أبرز المناسبات الاحتفالية في الحياة الشعبية الفلسطينية هي: الزواج، وولادة الذكور وبناء بيت جديد. وعندما ينتهي المرء من سقف بيته يجتمع لديه الأهل والأصدقاء والجيران، لتناول وجبة احتفالية وتقديم الهدايا بهذه المناسبة الطيبة.

إن الدار تحتل مكانا مرموقا في نفس الإنسان الفلسطيني. فهي تمثل ما يستره، ويستتر أهله، وتمثل الذكريات بشتى أشكالها. وهو يحن إليها إذا غادرها، ويتمنى العودة إليها، واعدادها بأجمل الزخارف والمحبة القلبية، ويتضح ذلك في هذه الأغنية الشعبية التي يسجلها د. كنعان:

يا دارنا يا أم الحجر الأحمر      إحنا رحلنا وغيرنا اتوطن  
يا دارنا يا أم الحجل والطوق      ياعاليه وامشعة ل فوق  
يا دارنا يللي اربينا فيكي      لا عادت تاويننا ولا اتاويكي  
يا دارنا ان نزلوك عربان غيرنا      اتوصيههم يادار حتى نعاود  
لا جيب لك يا دار حملين نيلة      وانقشك يا دار نقش العرايس

ويستعرض الدكتور كنعان العديد من المعتقدات الشعبية المتعلقة بالبيت. يقول أن هناك معتقدا سائدا في الوسط الشعبي الفلسطيني، مؤداه أن كل بيت تسكنه مخلوقات خارقة للعادة... وتوجد هذه المخلوقات على الأخص في البيوت الخالية، والخربة، والحديثة غير المأهولة. ولذلك يفترض في كل ساكن جديد أن يسترضي تلك المخلوقات. وتبدأ إجراءات ترضية هذه الكائنات، محاولة كف شرها، منذ البدء في البناء، بعد الأساس. إذ يجب أن ذبح ذبيحة كتقدمة للأرواح ساكنة المكان، تسمى «ذبيحة الأساس». ويستدعي المسيحيون الخوري، ليبارك الأساس ويلقي عليه مياها مقدسة. وعند وضع حجر الأساس، يضع صاحب البيت تحت الحجر قطعة عملة فضية، باعتبار أن ذلك يشكل فالأ حسنا، يدل على «الفضا» أي النور. وعندما يعقد البناء شاشية باب البيت، فإنه يعلق على الحجر هناك خرزة زرقاء، وثوما وقطعة من الشب وبيضة مفرغة. وهناك من يعلق شكل يد بشرية، أو صليبيا. وهناك أيضا ذبيحة العقد، التي تذبح عند انتهاء العمل في

السقف. وقد اعتاد البدوي أيضا، أن يذبح ذبيحة كلما نصب خيمته في مكان جديد، للأسباب والمعتقدات نفسها السالفة الذكر.

ويروي الدكتور كنعان أنه كان هناك معتقد قديم، مؤداه أنه لن يخلد البناء إلا إذا دفن في الأساس إنسان، أو جزء من إنسان!! وخاصة إذا كان البناء حماما عاما، أو عمارة ذات صلة بالجمهور<sup>(١)</sup>. وقد حلت فيما بعد عادة ذبح حيوان بدلا من تلك العادة. وهناك المعتقدات الشعبية ذات الأصل الإسلامي، والتي تفرض على ساكن البيت الجديد أن يدعو شيخا ليقرا القرآن، أو يدعو الدراويش لإقامة الحضرة، وهذه العادة ما تزال موجودة حتى الآن. ويعلق الناس راية بيضاء على ظهر البيت، وذلك تيمنا براية الرسول محمد (ﷺ) البيضاء.

### دراساته الأخرى

تعتمد دراسات د. توفيق كنعان على رصد المعتقدات الشعبية. ومن هذه المعتقدات التي ألقى ثقله إلى جانبها، مسألة الثنائية في المعتقد الشعبي الفلسطيني. فهو يدرس النور ويقابله بالظلام<sup>(٢)</sup>. ومن هذا القبيل درس الثنائيات التالية: الخير والشر، والأبيض والأسود، الملائكة والشياطين، العالم العلوي والعالم السفلي، الآله مقابل ابليس. وهو يعتقد أن دراسة ظاهرتي النور والظلام يمكن أن تؤدي إلى نتائج كبيرة، وتوضح مواقف جمة. وبعد أن يتحدث د. كنعان عن سبل الإنارة الشعبية والمصباح الساذجة، بعد أن يتحدث عن خوف الإنسان البدائي من الظلام، فإنه يحشد عشرات الأمثلة من الحياة الشعبية التي تتصل بالموضوع، وذلك يذكرنا بالمنهج المشهور، الذي اختطه سير جيمز فريزر في الدراسات الانثروبولوجية الذي يعتمد على دراسة فكرة معينة، من خلال ايراد حشد هائل من الأمثلة الموضحة لها، في بيئات أنثروبولوجية شتى. ومن هذه الأمثلة العديدة المتعلقة بمسألة النور والظلام، رصد كل التعابير الشعبية المتصلة بكلمات: مصباح، ضوء، قمر، شمع... الخ وفي بعض الأحيان، نحس بتشعب الموضوع، واتخاذ مسارات شتى. وعلى سبيل المثال، فإنه عندما يتحدث عن الزيت كمادة أساسية تشعل للحصول على النور، فإنه يتحدث عن القيمة الغذائية للزيت من وجهة نظر الأقوال الشعبية المأثورة، كما يسهب في الحديث عن اعتقاد الناس ببركة شجر الزيتون. ومن وجهة نظر الكاتب الحالي - وهي لا تتعارض مع ما أراده د. كنعان - فإن المادة الخام التي خلفها لنا كاتبنا تشمل ثروة فولكلورية لا ينضب لها معين، تحتاج إلى من يشمر ساعد الجد للعمل على جلاء ملامح الفلاح الفلسطيني، ونظيرته الخيرة. من هذا المنطلق يدرس توفيق كنعان الموضوعات الأخرى، مثل فولكلور النبات<sup>(٣)</sup> وفولكلور الفصول<sup>(٤)</sup>. ونحن نرى أنه يتناول

إسم نبتة معينة، ثم يدرس الأمثال والاغاني الشعبية والأقوال المأثورة المتعلقة بها. ومثلاً نراه يدرس وجهة النظر الشعبية حول فترات الحياة المختلفة، وهو يورد نبتة «الخيار». وأنقل عنه هذا النص: ابن عشرة مثل الخيارة المقشرة، ابن عشرين يعاشر المجانين، ابن ثلاثين زهر البساتين، ابن أربعين من الكاملين. ثم يستفيض د. كنعان في دراسة النسخ الأخرى من هذا النص وتفسيرها. كما يقوده الحديث عن النبات من وجهة النظر الشعبية، إلى المعتقدات الشعبية المتعلقة بها، فيرصد ظاهرة ارتباط النبتة بالمزارات وأضرحة الأولياء، ومسألة تقديس الأشجار، التي هي مستمدة من القدرة الإلهية المتمثلة فيها. ويفسر ذلك كثرة الزخارف الشعبية في البيوت والمزارات، وعلى الملابس، والتي تمثل أشكالاً شتى من الأشجار.

ويستطرد كنعان فيدرس نباتات وردت في الكتب المقدسة، ونبتت حولها معتقدات وخرافات كثيرة مثل نبتة القمح، التي كانت تنتصب في وسط أجنة عدن، والتي قدمت الأفعى منها طعاماً لحواء - أم البشر -. وعندما طرد آدم من الجنة، أرسل الله إليه بواسطة الملك جبريل حبات القمح ملفوفة بسبع مناديل من الحرير. وقام آدم بزرع هذه الحبوب، والتي اتخذت شكل حرف الألف (أ) وهي الحرف الأول من لفظ الجلالة «الله». ولذلك فإن القمح «نعمة من الله»، ويحرص الفلاح على ألا يدوس أية قطعة خبز مهما صغرت. وإذا ما وجد الفلاح شيئاً من الخبز قد سقط على الأرض، فإنه يتناوله بكل خشوع واحترام، ويقبله ويضعه على جبينه ثم يودعه جانبا، بحيث لا يتعرض لأن يداس بالأقدام. وتأتي مادة فولكلور الفصول كتتمة لمقالة د. كنعان المنشورة بالألمانية حول هذا الموضوع<sup>(١١)</sup>، وكذلك استكمالا لما كتبه كتاب آخرون، مثل بوهر<sup>(١٢)</sup> وسونن<sup>(١٣)</sup> وستيفان<sup>(١٤)</sup>، حول فولكلور الفصول في فلسطين. ويدور معظم هذه المادة حول أسماء الشهور والعطل والمواسم والمناسبات على مدار السنة، وما ارتبط بها في الذهن الشعبي من أفكار وممارسات ومعتقدات. أما دراسة د. كنعان للمعتقدات والممارسات الدينية فيما يتعلق بتصور قدرة الله<sup>(١٥)</sup> فيمكن اعتبارها ذات صلة بما كتبه عن الأولياء، وهي حافلة بتصور الإنسان لقدرة الله ودوره في مسائل الخير والشر، والرزق والفقر والمرض والشفاء. وغني عن الذكر، أن هذه التصورات تعزو كل ذلك إلى الله. ويبدو أن جهد الباحث الفولكلوري إزاء مثل هذه الدراسات، يجب أن ينصب على تمييز ما هو دين رسمي، عما هو فولكلور. وهذه ليست مهمة سهلة. ونحن نعرف أن الكثيرين من الكتاب الغربيين، الذين درسوا الفولكلور الفلسطيني، خلطوا بين المعتقدات الشعبية المنحدرة من الشروح الدينية، وبين الدين الرسمي.

وآخر الموضوعات التي درسها د. كنعان والتي هي موضوع استعراض الكاتب الحالي لأعمال ذلك الكاتب، دراسته عن طبوغرافيا وفولكلور البتراء<sup>(١٦)</sup>. وتكمن أهمية هذا الموضوع، بدراسة الحياة الإجتماعية لبدو البتراء، وصلة ذلك بحياة بدو جنوب فلسطين، إذ أن هناك علاقات وطيدة وحركة ارتحال تمت على طرفي وادي عربة، وجعلت الأراضي على طرفي الوادي منطقة فولكلورية واحدة، ذات صفة عربية بدوية.

يسكن الليانثة، بدو البتراء، في وادي موسى، وهم ذوو طبيعة بدوية، إلا أنهم يمارسون الزراعة شأنهم في ذلك شأن الفلاحين. ويتحدث د. كنعان عن ملامح الحياة اليومية لهؤلاء الناس، فيقول: إنهم يعيشون حياة صعبة، ويقاسون من الحاجة والفقر المدقع. ويعتمد مجتمعهم على سيطرة الرجل. ويتم زواج البنات عندهم بناءً على رغبة وليها، ودون استشارتها، ولا تحصل على شيء من المهر. وقد يمنحها والدها هدية، هي عبارة عن بعض الحيوانات، أو قطعة من الأرض. ويشيع بين الليانثة زواج البديل، بحيث يزوج الواحد منهم أخته أو قريبته لشخص، ويتزوج هو أخت ذلك الشخص أو قريبته، دون وجود مهر. ويندر أن يتم الزواج بالخطف، وفي هذه الحال يسمون الفتاة التي تهرب مع حبيبها «طموح». وهناك عدد ضئيل من بنات المشايخ، لعبن دورا كبيرا في حياة القبيلة، وفي هذه الحالة يسمى الشيخ بكنية تعود لتلك البنت. وغالبا ما يقضي الرجال وقتهم في كسل دائم، وثرثرة متصلة.

ويعتبر الليانثة الأولياء مخلوقات ذات قوة خارقة، ودورهم هو مساعدة الناس عند الحاجة. ولذلك فهم يطلبون منهم العون، أكثر مما يطلبونه من الله. ويقول د. كنعان أنهم قليلو المعرفة بالدين. فقد سأل هو شخصيا خمسة منهم أن يتلو سورة الفاتحة، ولكنهم لم يكونوا ليعرفوا تلاوتها. ويصدق هذا القول على البدو المقيمين في النقب وأطراف سيناء، فمعرفتهم بالدين جد ضئيلة، إن لم تكن أحيانا معدومة.

ولم يجد د. كنعان عند هؤلاء البدو أي ممارسات أو طقوس، في مزار أو كهف، أو ضريح لولي. ولكنه لاحظ أنهم يقدسون الموتى من الأشخاص ذوي الدور الكبير في تاريخ العشيرة أثناء الحياة. ويؤمنون بالجن، ويصفونه بأنه يشبه الغول كما هو مائل في الحكايات الشعبية الفلسطينية.

### منهج البحث عند توفيق كنعان

يمكن القول أن دراسة توفيق كنعان للفولكلور الفلسطيني هي دراسة وصفية. تعتمد على تناول زاوية معينة، بحيث يورد كل التفاصيل المتعلقة بها، والتي يبدو أنه جمع الكثير

منها بطريق الإستجواب الشخصي . أما الجزء الآخر، فقد اعتمد فيه على العمل المكتبي . ويبدو أنه رجع إلى العديد من المراجع الأجنبية، والتي حاول أن يصحح ما جاء فيها، على ضوء معرفته الأصيلة بالحياة الشعبية المحلية .

و قليلاً ما يحاول د . كنعان أن يربط بين المادة التي يجمعها وبين مثيلاتها، سواء أكان ذلك في بيئات أخرى أم البيئة الفلسطينية القديمة، وهو أن حاول ذلك، فإنه يقارن مع عهد التوراة، أو مع ما جاء في القرآن الكريم . إلا أن د . كنعان يكتب، وقد اتضح في ذهنه المنهج الوظيفي، بحيث يبذل جهداً طيباً في تفسير المادة التي يتحدث عنها، من خلال إبراز وظيفتها في الحياة الشعبية، ودورها في توجيه أفكار الناس، وتكوين مفهوم معين، مرتبط بممارسات معينة، متفق عليها لدى الوسط الشعبي . ولذلك وجدنا أنه ألقى ثقله إلى جانب دراسة المعتقدات الشعبية، لعلمه الأكيد أن هذه المادة ذات صلة بالواقع المعاش للناس، فهي تؤثر فيه وتوجهه، وتحكم مسار الحياة اليومية .

ولم ينس د . كنعان أنه يكتب عن تراث بلد مهدد بأخطار التذويب والابتلاع، ولذلك نراه يربط بين المادة التي يجمعها، وبين الأرض، ويخلق الصلة بينهما، بحيث يمكن القول أن هؤلاء الناس - أهل فلسطين - هم أصحاب هذه الأفكار المرتبطة بهذه الأرض، والتي وجدت الصلة عبر هذا الحشد الجغرافي العظيم، من المزارات، والأضرحة، والكهوف والينابيع، والآبار، والأشجار ... إلخ .

وبعد، فإن أعمال د . كنعان لهي أشبه بعمل موسوعي، يحتاج إلى من يعيد تنظيمه، ويضيف إليه، لتظهر «موسوعة الفولكلور الفلسطيني»، التي تبرز وجه الشعب الفلسطيني، صاحب الأرض العربية الفلسطينية، ومبدع تراثها وثقافتها الأصيلة .

\* كتبت هذه المادة قبل صدور الموسوعة عام ١٩٨٨، وصدرت في «شؤون فلسطينية» العدد ٩ عام ١٩٧٢ .

(١) من أبرز مؤلفات الدكتور توفيق كنعان بالالمانية كتابه:

Aberglaube und Volksmedizin in Lande der Bible.

«الخرافات والطب الشعبي في فلسطين»

a) Der Kalender der Palästinenschen Fellachen.

b) Dämonenglaube in Lande der Bible.

c) Die Neugeborenen in der Palästinenschen Volkssite.

أما دراسات توفيق كنعان بالانجليزية والتي هي موضوع هذه الدراسة فتضم كتاب:

Mohammeden Saints and Sanctuaries in Palestine.

واحدى عشرة مقالة أخرى نشرها في مجلة JPOS

Mohammaden Saints And Sanctuaries in Palestine, Luzac and Co., London 1927. (٢)

(٣) دراسة الدكتور كنعان حول هذا الموضوع في مقالته:

a) Water And the Water of Life in Palestinian Superstition, JPOS, IX, 1929.

b) Haunted Springs and Water Demons in Palestine, JPOS, I, 1921.

(٤) درس د . كنعان هذا الموضوع في مقالته:

a) Tasit, Er-Radjfeh, (Fear Cup), JPOS, III, 1924.

b) Arabic Magic Bowls, JPOS, XVI, 1936.

كما استفاض المؤلف في التحدث عن هذا الموضوع في كتابه:

Aberglaube und Volksmedizin in Lande der Bible, Hamburg, 1914.

(٥) تناول الدكتور كنعان هذا الموضوع في مقالة من جزعين بعنوان:

The Palestinian Arabs House, its Architecture and Folklore, JPOS, 1937, Vol. XII, (223-247).

(٦) فصل د . كنعان هذه الظاهرة في كتابه:

Dämonenglaube im Lande der Bible (38-39).

Light and Darkness in Palestinian Folklore, JPOS, XI, 1930. (٧)

Plant-love in Palestinian Superstition, JPOS, VIII, 1928. (٨)

Folklore of the Seasons in Palestine, JPOS, III, 1924. (٩)

Z.D.P.V. XXXVI, 266-300 (١٠) انظر مجلة:

Z.D.P.V. XXXVIII, 54-57: Bemerkungen zu Dr. Canaan's Der Kalender des Palästinenschen Fel- (١١)

lachen.

Landwirtschaftliches vom see Genesareth, Das Heilige Land, Heft I, 1921. (١٢)

The Division of the Year in Palestine, JPOS, 159-170. (١٣)

More Palestinian Beliefs and Practices Relating to God, JPOS XIV, 1934. (١٤)

Studies in the Topography and Folklore of Petra, JPOS, IX, 1929. (١٥)

## ملاحظات حول حياة الدكتور توفيق كنعان

كتبها : يسمى توفيق كنعان

وترجمها : روجي عسكر

ولد توفيق في الرابع والعشرين من أيلول سنة ١٨٨٢، أما أبواه فهما بشاره كنعان وكاترينا، كان أبوه مؤسسا للكنيسة اللوثرية في بيت جالا، وأول راع لها، وفي ذلك الوقت كانت هناك نزاعات شديدة بين الطوائف المسيحية المختلفة، وأن تأسيس كنيسة جديدة كان ينظر إليه بتحفظ كبير. تعلم والده بشاره في دار الأيتام السورية، أو في مدرسة «شنلر» كما كانت تسمى. لقد كان أبا حازما، ولكنه كان عادلا، وكان سابقا لزمانه من حيث أفكاره التحررية. إن جمعية الشبان المسيحية (Y M C A) هي إحدى المؤسسات التي أوجدها، وسيبقى يذكره الناس لذلك. لقد كان توفيق الطفل الثاني لستة أخوة، أكبرهم أخته ليديا.

أذكر وهو يخبرنا عن حب والده للوطن وأهله، عن العادات والمعتقدات والخرافات، كيف أنه هو ووالده كانا يستيقظان مع شروق الشمس، ليمشيا فوق التلال، ليستمتعا بالمناظر الطبيعية، وكيف أن انتباهه شده إلى كروم الزيتون، وإلى أشجار الفاكهة، وخصوصا المشمش، الذي كانت تشتهر به مدينة بيت جالا. في الربيع كانا يفتنان بجمال النباتات المختلفة، والمتنوعة. لذا نما توفيق بعقل قد وسع باهتمامات والده، وعمق بحب الإستطلاع الطبيعي للبيئة، وما يدور حوله. ذهب توفيق أيضا إلى مدرسة شنلر، ولكن لسوء الحظ توفي والده عندما كان في السادسة عشرة، ولكنه قرر أن يكون طبيبا. لقد كانت أخته الكبرى ليديا معلمة، وأخوته ما زالوا في المدرسة. كانوا فقراء جدا، ولكن الأم كاترينا استطاعت أن تعتمد على معاش النقاعد الذي كان يأتيها كأرملة، وبمساعدة ليديا ذهب توفيق إلى بيروت.

\* كتبت هذه الملاحظات باللغة الإنجليزية كريمة الدكتور توفيق كنعان، وظهرت في مجلة التراث والمجتمع - البيرة - العدد ٦، ١٩٧٦.

كان عليه أن يحضر للدخول للجامعة الأمريكية، التي تدعى آنذاك كلية البروتستانت السورية، وقد استطاع ذلك. كان يعطي دروسا، ويعمل أعمالا أخرى، ليدفع نفقاته من كتب ورسوم جامعية، واشتغل بجد كبير ليتخرج كطبيب ولينهى دراسته الجامعية عام ١٩٠٥ (دبلوم الجامعة الأمريكية والقسطنطينية). عاد إلى فلسطين، وقبل وظيفة مساعد للدكتور غروسندروف في مستشفى الشماسة الألماني في القدس. خلال هذه الفترة عمل في المستشفى الإنجليزي على فترتين، لمدة ستة أشهر، وكان مسؤولا عن إدارة مستشفى «شعار صدق» لمدة ثمانية أشهر، خلال غياب الدكتور «ولخ»، وبعد ذلك أصبح طبيبا لبلدية القدس لمدة عام، وذلك بين الفترة ١٩١٢ - ١٩١٤، حيث درس الأمراض المدارية والجراثومية مع البروفيسور «ميوهيلنز»، والسلم مع البروفيسور «منخ». اشتغل كرئيس لدائرة الملايا في مكتب الصحة العالمي لمدة عام، وعمل أيضا عدة أبحاث في مجال الديدانتاريا الأميبية، وقرر أن يمارس هذا عمليا. لقد كان على اتصال مع القرويين في السنوات المبكرة من حياته، مما جعل اهتمامه بالخرافات والفولكلور يستيقظ مرة ثانية. في ذلك الوقت كان أطباء قليلون يعيشون الممارسة، حيث كان الناس منغمسين في الخرافة والطب الشعبي، لقد شاهد خرزات العين والتعاويز، التي توضع على اليد، والمجوهرات التي كان يلبسها مرضاه، ولا حظ أيضا أن معظم المرضى كانوا فقراء، وحتى رسومه العادية «أي أجرة الفحص» كانت أكثر مما يتحملون.

لقد قرر، بدلا من الدفع، أن يسأل عن تاريخ وهدف الحلية التي كانوا يلبسونها وعن أشياء فنية أخرى، بهذه الطريقة أوجد جمعا وتاريخا. إن هذا الجمع أصبح في وقت مشهورا وفريدا من نوعه. بهذه الطريقة جمع أيضا أمثالا شعبية (Proverbs) وعادات (Customs) كثيرة، ومنها ما استطاع أن يرجعه إلى ما قبل العهد القديم. إن كتابه «المعتقدات والطب الشعبي في أرض الإنجيل» الذي صدر في هامبورغ سنة ١٩٤٥ أصبح في الحال على مستوى يعتمد عليه.

وخلال الحرب العالمية الأولى، كان اسمه في قائمة العاملين في القسم الطبي في الجيش الألماني التركي، وقد خدم غالبا كرئيس للمختبرات في الأماكن التالية: بئر السبع، وصفير العوجا، وبيت حانون، والقدس، ونابلس، ودمشق وأخيرا حلب، وقد خدم أيضا لمدة شهرين في الجيش الانجليزي، مشاركا في أعمال المختبرات.

في عام ١٩١٢ تزوج من مارغوت ايلندر، وهي ابنة لمستورد ألماني، وقد انتقلا في عام ١٩١٣ إلى حي المصراة، ليعيشا في بيتهما الخاص بهما.

لقد كانت سنوات الحرب الأكثر انتاجا في حياته. لقد كان عضوا ولعدة سنوات في الجمعية الشرقية الفلسطينية<sup>(١)</sup>، وكان يكتب بانتظام إلى مجلتها. لقد أسس الجمعية الطبية العربية، وكان محررا لنشرتها لعدة سنوات. وكان عضوا في مجلس جمعية الشبان المسيحية، طيلة حياته كإنسان راشد، ورئيسا لها ثلاث مرات، وقد منح العضوية الفخرية طيلة حياته، وحين تقاعد كان عضوا في عدة جمعيات أثرية، حيث كان كثير الإهتمام بالآثار، وبأخذنا نحن الأطفال إلى كثير من الحفريات في فلسطين وشرق الأردن. وكان طبيبا لدار المجذومين، ولعدد من الأديرة، ودور الأيتام ومدارس من مختلف الطوائف، كان رئيسا لقسم الطب الداخلي في مستشفى الشماسة الألماني. لقد كان نشيطا سياسيا، ومحترما من قبل المسلمين والمسيحيين على حد سواء. في الثلاثينات كتب كتابا سياسيا بعنوان «صراع في أرض السلام» وبالإضافة إلى كتب ومقالات فن العادات والتراث الشعبي، أشهرها كتابا بعنوان «البيت العربي».

إن طلاب اللاهوت وعلم الآثار من عدة بلدان، كانوا يأتون إلى بيتنا ليروا ما جمعه من التعاويذ، ويسمعونه يتكلم في هذا الموضوع. وكان يعتبر المتصلعين في مواضيعهم أصدقاء له، أذكر منهم: دكتور ستاركي، دكتور البرايت، بروفيسور جلوك، الأنسة كنيون، بروفيسور هرتسبرغ، بروفيسور نوث... الخ.

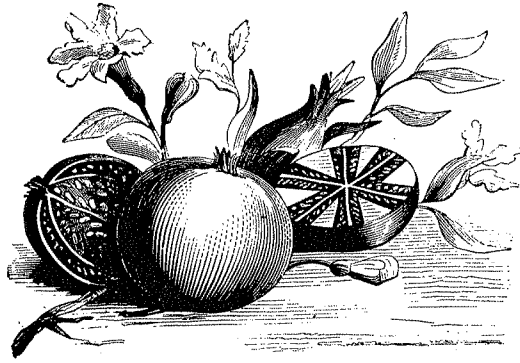
وعندما دار القتال بين الهاجانة والقوات العربية، وأصيب بيتنا عام ١٩٤٨ كان على أبي وأمي أن يغادراه في الليل إلى المدينة القديمة، حيث عاشا هناك في غرفة واحدة، وضعها بطريرك الروم الأرثوذكسي تحت تصرفهم. كنا ننام ونعيش ونطبخ في تلك الغرفة، والتي كانت بمثابة عيادة أقامها أبي هناك. وخلال تلك الفترة اشتغل الأب بجدية للغاية معالجا الجرحى، وعمل على تأسيس العيادات الطبية، وكان يجمع، ويطلب العقاقير والادوية والضمادات، وينظم مؤسسة مستشفى الهوسبيس النمساوي في المدينة القديمة. وبالتعاون مع الأونروا، أسس الإتحاد اللوثيري العالمي مستشفى للاجئين في الأوغيسستا فيكتوريا (المطلع) وكان الجزء العربي منها يعيش وضعاً غير منظم، لقد رأى أنه من أول الأولويات هو تأسيس العيادات الطبية في القرى، وساعد على عمل ذلك.

والأصح أن نسميها «جمعية استشرق فلسطين» (المحرر) لأن الجمعية الشرقية لفلسطين هي ترجمة لشيء آخر.

بدأ الإتحاد اللوثيري بإيجاد العيادات المتنقلة، حيث زار عدة مناطق، ولم يجد أية عيادة دائمة قد أسست.

لقد فقد والدي كل أملاكه من أرض وبيوت بسبب التقسيم، ولكنني لم أسمعته يتذمر أبدا. لقد كانت خسارته الكبيرة والتي شعر بمرارة عظيمة بسببها هي فقدان مكتبته، التي كانت تحتوي على وثائق لثلاثة كتب كان يحضرها منذ زمن بعيد. وعلى الرغم من أنه كتب مقالات، وعقد محاضرات، وحاول أن يجمع مواد جديدة، إلا أن هذه الخسارة لا يمكن تعويضها.

وعندما تقاعد من مركزه في مستشفى أوغستا فيكتوريا، أعطي كوخا على أرض المستشفى ليعيش فيه بقية حياته، وهناك كان يزوره الأصدقاء والصحفيون من عدة بلدان واستمر في كتابة قصص قصيرة ومقالات، ولكن القليل منها قد نشر. تعلم طباعة الورود، وتعلم أن يعمل بطاقات منها، حيث كان يبيع هذه البطاقات، وكان نتاجها يذهب إلى المؤسستين المفضلتين له وهما «طاليتا قومي» ودار «المجذومين» وفي عام ١٩٤٥ فقد ابنه الوحيد، تلك الخسارة التي لم يشف منها، هو وأمي، لمدة طويلة. وفي عام ١٩٦٤، وفي شهر كانون ثاني، توفي في مستشفى الأوغيسستا فيكتوريا.



(١) مجلة التراث والمجتمع، العدد ٦، ١٩٧٦.



ترجمة الدكتور توفيق كنعان  
كما وردت في معجم «من أعلام الأدب والفكر في فلسطين»  
تأليف المرحوم يعقوب العودات  
كنعان (الدكتور توفيق)

١٨٨٢ - ١٩٦٤

في كتاب ألفه البروفسور هيوتوماس عن (كوبا) تناول فيه تاريخ هذه الجزيرة في غضون المثني عام الأخيرة. واختتمه المؤلف بأغنية كانت الجزيرة تشدو بها في الخمسينات ومن مقاطعها:

مسكينة أنت يا (كوبا)  
دائما تأملين.. ودائما يخدعونك  
طريق الحرية لم تبلغ بك الهدف.  
مع أنك كنت دائما على خطوات منه.

هذه الكلمات الوجدانية كان يرددتها الدكتور توفيق كنعان متمثلا (فلسطين) وهي تشدو بهذا المقطع... حتى أصبح شعارا له.

ولد توفيق في بلدة «بيت جالا» بفلسطين ١٨٨٢. وكان والده بشارة كنعان قسا. وأتم «توفيق» دراسته الابتدائية في بيت جالا، ثم انتقل إلى (دار الأيتام السورية) المعروفة بإسم (مدرسة شنلر) في القدس حيث أنهى تحصيله الثانوي، وقضى ثلاث سنوات ونصف في دار المعلمين. ثم التحق بـ «الكلية الإنجيلية السورية»، المعروفة بـ «الجامعة الأمريكية» في بيروت. وتخرج طبيبا عام ١٩٠٥. وبعد تخرجه عمل مساعدا في المستشفى الألماني، وفي المستشفى الانكليزي، وفي مستشفى شعار صادق بالقدس، وطبيبا في بلدة القدس.

وخلال (١٩١٢ - ١٩١٤) درس علم الجراثيم والأمراض الإستوائية مع الدكتور مولنز، وأمراض الدرن مع البروفسور موخ، وأصبح رئيسا لدائرة الملاريا التابعة لمكتب



- شجرة شوكية، على الطريق من الخان الأحمر إلى أريحا.

الصحة العالمي. وفي الحرب العالمية الأولى. أي ما بين ١٩١٤ - ١٩١٨ عمل طبيباً في الجيش التركي بالناصرية. ورئيساً للمختبرات الطبية. ابتداءً ببئر السبع جنوباً، وإنهاءً بولاية حلب شمالاً. وبعد الاحتلال البريطاني - الفرنسي، وتقلص ظل العثمانيين عن البلاد العربية، مارس الدكتور كنعان الطب في القدس في عيادة خاصة به. بالإضافة إلى عمله طبيباً لمستشفى البرص من ١٩١٨ حتى ١٩٤٧، وإلى رئاسته لدائرة الطب الباطني في المستشفى الألماني بالقدس. ونشر مقالات صحية قومية في مجلة «الكلية» ببيروت، ومنها مقال قيم بعنوان «الصحة أساس الحياة القومية». واشتهر كأقدم طبيب عربي في مدينة القدس، وكأخصائي في أمراض البلاد الحارة والقلب والصدر. وكان يحسن ست لغات هي: العربية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والتركية والعبرية.

وبعد النكبة التي عصفت بعرب فلسطين في شهر أيار ١٩٤٨، انتدبه الجمعية الطبية العربية كبيراً للأطباء في المستشفيات العربية، والمستشفى الروسي ومستشفى الهوسبيس النمساوي، ومستشفى العيزرية ومستشفى بيت لحم. وفي أعقاب عام ١٩٤٨ بدأ عمله مع الإتحاد اللوثري العالمي. وأسس خمس عيادات نيابة عن ذلك الإتحاد، في كل من: بيت جالا والخليل والطيبة والعيزرية والقدس، وفي عام ١٩٥٠ تسلم إدارة مستشفى أوغستا فكتوريا الألماني بالقدس، وعين مساعداً طبيباً له حتى ربيع ١٩٥٥.

أما نشاطات الدكتور كنعان الإجتماعية... فقد انتخب ثلاث مرات رئيساً لـ «جمعية الشبان المسيحية» بالقدس. فعضوا دائماً في مجلس إدارتها، فعضوا شرف طيلة حياته. وقد أسس «الجمعية الطبية العربية» في فلسطين وكان رئيسها ومحرر مجلتها (Palestine Medical Journal)، التي كانت تصدر باللغة الانكليزية، مدة سبع سنوات، وكان أمين سر «جمعية المستشرقين الفلسطينية»، وعضواً في «مدرسة الأبحاث الشرقية» بالقدس، ونشر في مجلتها سلسلة من المقالات الانكليزية، وكلها تدور حول الأمثال العربية التي تتناول (الكلب)، وكان ذا اهتمام كبير بعلم الآثار، والفولكلور في الشرق الأوسط، وبالتطور السياسي في فلسطين ومشاكلها.

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية سجن مع قرينته وشقيقته في سجن عكا، بتهمة الدعاية لألمانيا الهتلرية، ثم نقل ثلاثتهم إلى المعتقل خارج عكا، وبعد شهر ثلاثة أفرج عنهم.

لم يشغل الطب ومغرياته الدكتور كنعان عن التفكير بوطنه المغصوب، والمخططات التي يعدها الخصم لتهوده وازدراده... بل ظل يفكر بفلسطين ومستقبلها الاسود الفاحم،

فكتب عشرات المقالات في كبريات الصحف الألمانية والانكليزية والفرنسية، مدلاً على النوايا السيئة التي يبيتها الإنتداب والصهيونية معا للبلاد المقدسة، كما صنف الكتب حول ظلامه وطنه.

وامتد اهتمامه ببلاده إلى القضايا التاريخية في فلسطين، فكان أول من نبه العرب إلى أهمية (النقب) في فلسطين، وخطورة موقعه الاستراتيجي، وقيمه الزراعية. وكان ينشر بحوثه عن هذه المنطقة الفلسطينية الهامة في مجلة «الكلية» التي كانت تصدر عن الجامعة الأميركية في بيروت.

ولقد أثبتت الأيام أهمية «النقب» بالنسبة للسلطات الإسرائيلية، ذلك أنها عندما وقفت على المقترحات التي قدمها الكونت برنادوت، الوسيط الدولي، لتسليم «النقب» إلى العرب، وبادرت العصابات الصهيونية إلى اغتياله في حي القطمون بالقدس، بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١٧، وبذلك أجهزت على مشروعه.

#### من اثاره القلمية:

صنف الدكتور كنعان طائفة من الكتب باللغات الانكليزية والألمانية والفرنسية، ومن الكتب التي وقفنا عليها بقلمه:

- ١ - الموت أم الحياة - وضعه بالانكليزية، وترجم إلى العربية والفرنسية - طبع عام ١٩٠٨.
- ٢ - الطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس - وضعه بالألمانية، وطبع في هامبورغ عام ١٩١٤، وسرعان ما أصبح مرجعاً هاماً في هذا الموضوع.
- ٣ - أولياء المسلمين ومقدساتهم - من أهم الكتب التي صنفها الدكتور كنعان، وظهرت باللغة الانكليزية - طبع عام ١٩٢٧.
- ٤ - قضية عرب فلسطين - وضعه بالانكليزية، ونقله الأستاذ موسى سلامة إلى العربي - طبع عام ١٩٣٦.
- ٥ - الصراع في أرض السلام - وضعه بالانكليزية - طبع عام ١٩٣٨.

ونشر الدكتور توفيق كنعان ما يربو على ستين بحثاً علمياً في المجالات الطبية الأوروبية، كما كتب أكثر من خمس وثلاثين مقالة عن الفولكلور عند العرب، وعددًا من المقالات التي تتعلق بالمشاكل السياسية في فلسطين. ومن أبرز ما وقفنا عليه من تلك المقالات:

- ١ - النور والظلام في التراث الشعبي الفلسطيني.

## ٢ - عقيدة الفلسطينيين بالله ، وطريقة ممارستها .

- ٣ - حبة حلب (Oriental Boll).
- ٤ - البيت العربي الفلسطيني - بناؤه وتراثه الشعبي .
- ٥ - علم النبات في الخرافات الفلسطينية .
- ٦ - عرب الصقر في بيسان .
- ٧ - دراسات في طبوغرافية البتراء .
- ٨ - وثيقتان تتعلقان بتسليم القدس .
- ٩ - الشرائع غير المدونة عن المرأة العربية في فلسطين .
- ١٠ - الماء وماء الحياة في الخرافات الفلسطينية .
- ١١ - المشكلة الصهيونية وأزمة فلسطين .
- ١٢ - طاسات الرعبة العربية .
- ١٣ - إلتهاب السحايا الدماغية الشوكية في القدس .
- ١٤ - طرق القوافل البيزنطية .
- ١٥ - الطفل في الخرافات العربية الفلسطينية .
- ١٦ - عدوى الجدام .
- ١٧ - اللعنة في التراث الشعبي الفلسطيني .
- ١٨ - حل رموز الطلاسم العربية .
- ١٩ - الينابيع المسكونة والشياطين المائية في فلسطين .

## نموذج من نثره :

كان السكان العرب في فلسطين ، وكذلك في شرق الأردن وسورية والعراق ، ينظرون قبل الحرب الكبرى إلى كل بريطاني وكأنه تجسيد للعدالة والمروءة والشرف ، ولم يكن لأي عربي من أمنية ، سوى أن يخلع النير التركي عن عنقه ، فلما قطعت بريطانيا العظمى على نفسها عهدا للملك حسين بن علي ، هبت الأمة العربية كلها في وجه الأتراك ، وساعدت القضية البريطانية مساعدات مباشرة ، وغير مباشرة ، ولكن بريطانيا العظمى نكثت عهدا ، وداست بقدمها أقدس أماني العرب ، وقد فعلت ذلك من أجل اليهود ، على الرغم من «الحقيقة التاريخية التي تعطي العرب أولوية حاسمة في الضمانات التي قدمتها بريطانيا لتأمين تعويضهم لها في الحرب» - (جريدة ديلي ميل ١٩٣٦/٥/٢٧).

وزادت بريطانيا العظمى على ذلك ، أنها أغفلت العمل بالمشورة التي قدمها الخبراء البريطانيون ، لأن تلك المشورة جاءت في صالح العرب . فقد صاغوا أنظمة جديدة جاءت

لإخماد نار العرب ، ولنع المهاجرين العرب - وقد كانوا رعايا عثمانيين - من الحصول على الجنسية الفلسطينية ، التي كانت جنسيتهم الطبيعية ، وسمحوا لمئات الألوف من المهاجرين اليهود بدخول فلسطين ، وسهلوا لهم شراء الجانب الأكبر من أخصب أراضيها ، وقد مر الآن ثمانية عشر عاما على بدء هذه التجربة الفظيعة . وازداد الوضع حرجا ، عاما بعد عام . من دواعي العجب أن كل عربي ، مسلما كان أو مسيحيا ، بدويا أو فلاحا أو مدنيا ، متعلما أو أميا ، أخذ يشعر بأن هذه السياسة الظالمة تتهدد حياته ووجوده نفسه ، ومن عجب أن كل واحد قد أصبح يمقت هذه السياسة غير الإنسانية ، ويعمل كل ما في وسعه لتغييرها .

ونحن ، المسيحيون العرب الفلسطينيون ، الذين حصل معظمنا تعليمهم في المدارس البريطانية ، وصرنا أكثر الفلسطينيين تعلقا بالشعب البريطاني ، معجبين بالعدل البريطاني ، والآداب البريطانية ، والسياسة البريطانية ، أصبحنا الآن أشدهم مقنا وكرها لسياسة بريطانيا المنافية للروح المسيحية . والهيأج الحالي ، شأنه شأن كل هيأج سابق له ، ليس ثورة يثيرها أشخاص يسمون زعماء لمجرد السعي لإسترداد نفوذهم المفقود ، بل هو فورة تلقائية عارمة وحدث جميع العرب ضد الظلم الذي حل بهم وجاوز طاقة احتمالهم .



# المقاتلات



## فولكلور النبات في الخرافات الفلسطينية \*

### ترجمة فلورا لحام

لعبت الحكمة الشعبية في النبات دوراً كبيراً في المعتقد الشعبي، وخصوصاً عند الشعوب البدائية، ولقد كان تأثيره وما زال واضحاً على سكان الأرض المقدسة. وهو يظهر بوضوح في كل مظهر من حياة الفلاحين وسكان المدن. ونصادفه في الحياة اليومية للعائلة، وفي تفسير الأحلام، وفي الطب الشعبي، والخرافات والإعتقاد الشعبي، وفي تقاليد الأعمال الزراعية. وتقدم دراسة هذا الموضوع تصويرات مماثلة لعدة فقرات من التوراة.

الفلسطيني في الدرجة الأولى زراعي وعمله يجعله على اتصال دائم مع الطبيعة التي فيها ومنها يعيش<sup>(١)</sup>. وبالنسبة إليه فإن تلك الأجرام السماوية والجبال والكهوف قوة الحياة، أما الحيوانات والنباتات فهي موجودات مشخصة تحيا، وتتكلم، وتملك دائماً قوى خارقة. ومن خلالها يكتشف طالعه، وأحياناً تكون مصدر قلق وإثارة، وأحياناً أخرى تكون مصدر تعزية وتشجيع.

تستمد بعض النباتات أسماءها من صفاتها الخارجية، كالشكل واللون والرائحة أو من معتقد خرافي، أو من مقارنة بالحياة الحيوانية وسنوضح ذلك فيما يلي:

الإسم العربي العامي	الإسم النحوي	الإسم العلمي	تفسير الإسم العربي <sup>(٢)</sup>
حنون البس	أزهار القط	Adonis automanlis	يشبه النوار أعين القط
نتش	عشب شوكي	Poterum spinosum	من الفعل نتش (سحب)
خريف	خريف	Urginea marit	تزه في الخريف
ودع <sup>(٣)</sup>	وداع	Colchicum decaisnei srev	تظهر في نهاية الصيف <sup>(٤)</sup>
ميرمية	نسبة إلى مريم	Salvia drilobia	

\* أود أن أعبر عن شكري للأصدقاء منير ناصر وفواز زيدان (جامعة بيرزيت) وكمال الشاعر (مدرسة البيرة الثانوية) لمراجعتهم الصيغة النهائية لهذه الترجمة. وبالطبع فهم غير مسؤولين عن الأخطاء التي قد تظهر فيها «الترجمة» فلورا لحام.



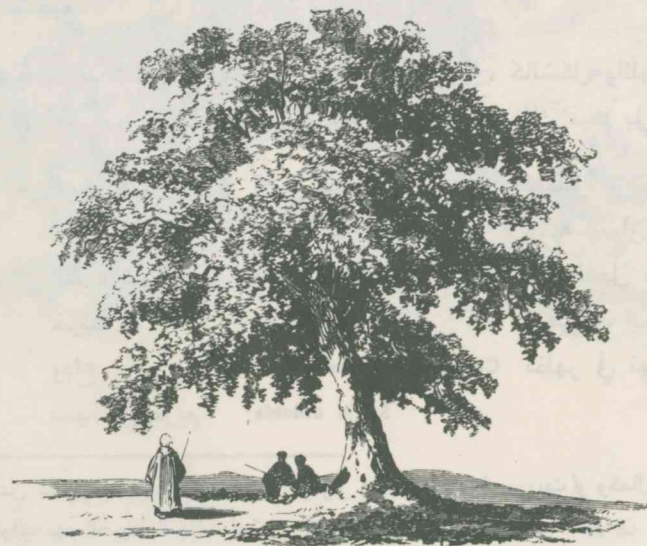
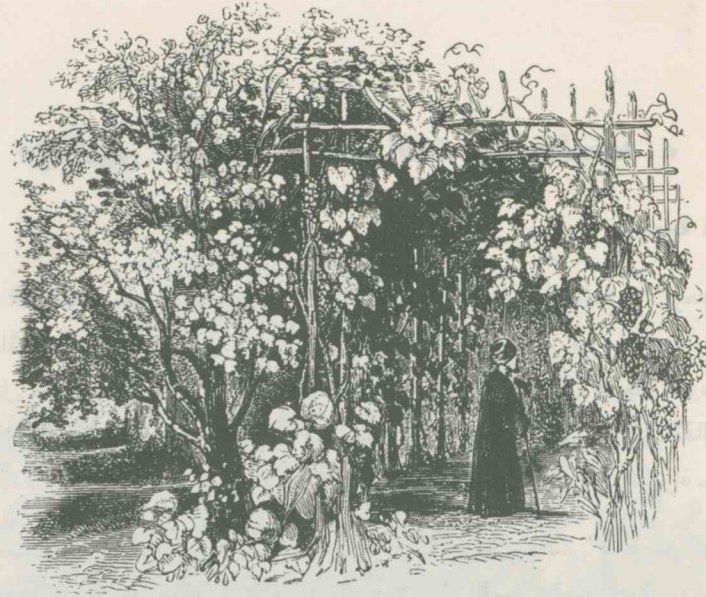




زعمطوط ركف قرن الغزال



حنون أحمر شقائق النعمان











زهر اللوز



حمم مصيص



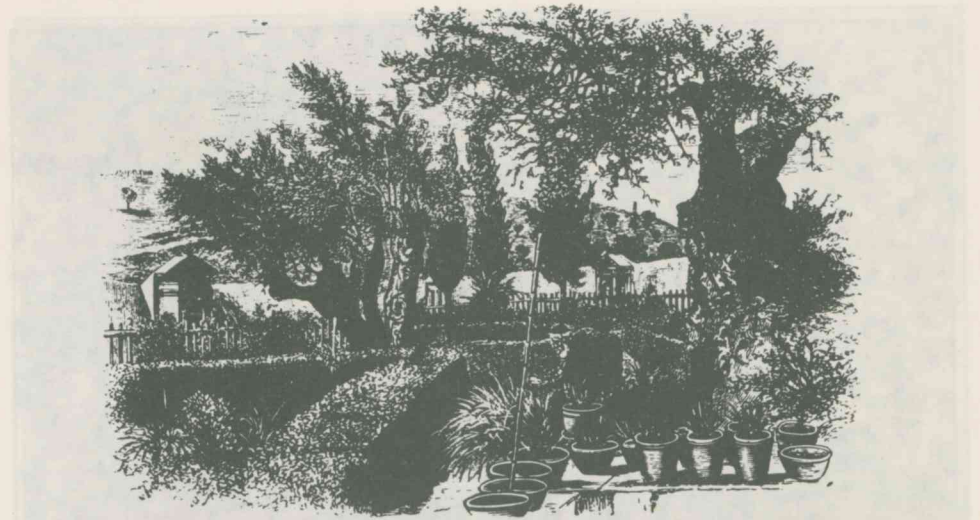




تفاح المجنون	Mandragorraoff	تفاح المجنون	تفاح المجنون
بادنجان <sup>(٥)</sup>	Egg Plant	بيض الجان	بادنجان <sup>(٥)</sup>
بيتنجان		بيت الجان	بيتنجان
حليبة	Euphorbia	حلوب	حليبة
صابونة الراعي	Cyclamen Latifolium Sands	صابون الراعي	صابونة الراعي
كصابونة			
لسان الثور	Myosotis Hispida (schlecht)	لسان الثور	لسان الثور
قرع	Pumpkirl	رأس أصلع	قرع
بزاز العذرا	Holychrysum sanguinum	ثدي العذراء	بزاز العذرا
صوفان	Phanyolon rupestrae	صوفي	صوفان
عورور	Verbescum fripoltanum	يصبح أعمى	عورور
عشبة الكرّكفة	Brisa maxlma	عشبة السلحفاة	عشبة الكرّكفة

كثيرا ما تستعمل أسماء بعض النباتات أو أجزائها كأسماء شخصية أو عائلية وكان بعض هذه الأسماء، خاصة أسماء العائلات، كنيات ويوضح الجدول التالي هذه الأسماء<sup>(٦)</sup>:

الإسم	يطلق على	الإسم	يطلق على
غصون	إسم أنثى	فلفل	إسم ذكر
غصن	إسم عائلة	نخلة	إسم ذكر وعائلة
حنون	إسم ذكر	خضرة	إسم أنثى
حنونة	إسم أنثى	زهرة	إسم عائلة
زهرة	إسم أنثى	طرّة <sup>(٧)</sup>	إسم أنثى
زهور	إسم أنثى	نورة	إسم أنثى
وردة	إسم أنثى	ياسمينة	إسم عائلة
ريحانة	إسم أنثى	سروة	إسم أنثى



حديقة الجثمانية - القدس . شهد هذا المكان العشاء الأخير للسيد المسيح وتلاميذه ، وهي الآن ملك لدير اللاتين ، وفيها أصص الورد وأشجار الزيتون القديمة . إن سبعة من تلك الأشجار قديمة جداً . لقد اعتنى الفرنسي سكان بالحديقة ، وأبقوها مليئة بالأزهار . هنا قضى السيد المسيح ساعاته الأخيرة قبل أن يأتي البوليس الروماني ورجال المعبد اليهودي لاعتقاله . وفي تلك الليلة الحزينة ، أو في الصباح التالي حوكم المسيح من جانب كهنة الهيكل ، اليهود ، ثم أرسل إلى بيلاطس البنطي الذي أدانته ، بناء على شهادة ومحاكمة رجال الدين اليهود ، ووجهت له تهمة بأنه ادعى الألوهية ، وادعى بأنه ملك اليهود . الصورة من كتاب فالنتين :  
Palestine. Past and Present.



غيسلان قيسلان بوسلان

حنضل (حنظل)	إسم عائلة	تفاحة	إسم أنثى أحيانا إسم عائلة
زيتونة	إسم أنثى	عدس	إسم عائلة
زيتون	إسم عائلة	دالية	إسم أنثى
بامية	إسم عائلة	تويمة	إسم عائلة
قرع	إسم عائلة	فلة	إسم أنثى <sup>(٨)</sup>
ميسة	إسم أنثى		

كثير من أسماء القرى والأودية والجبال والآثار مشتقة من أسماء النباتات، وفي بعض الحالات توضح هذه الأسماء تفصيلات عن التاريخ المحلي لهذه الأماكن، وهكذا نجد أسماء الأماكن التالية:

الإسم	التفسير	المكان
دير البلح		قرب خان يونس
التينة	شجرة التين	جنوب وادي الصرار
قرية العنب	-	أبوغوش
كفر قرع	قرية القرع	قرب حيفا
وادي التفاح	-	بيت جالا
قلعة النخل	-	في صحراء سيناء
بئر الورقة	-	في الأقصى
جورة العناب	-	القدس
خربة الخوخ	-	عشام القديمة
قصر الملفوف	-	الكرك
جبل الزيتون	-	قرب القدس
كريم الزان	حديقة شجرة الزان	قرب بيت جالا
نهر الدفلة	-	قرب طنطورة
وادي الصيصبان	-	إسم أريحا

ومن المدهش أن أريحا حتى يومنا هذا، تعتبر تحت لعنة الله (يشوع ٦ : ٢٦) «يا طايح وادي الصيصبان (أريحا) نازل مكسي وطاقع عريان».

إن كثيرا من أسماء الأشخاص أو أسماء الأماكن التي نجدها في التوراة، مشتقة من أسماء النباتات: أريحا كانت تدعى «مدينة النخيل»<sup>(٩)</sup>، العيزرية: بيت البلح<sup>(١٠)</sup>، بيت كارم: بيت الكروم<sup>(١١)</sup>، بيت فاجي: بيت التين<sup>(١٢)</sup>، بيت شينة: بيت شجرة السنط<sup>(١٣)</sup>، رمون: الرمان<sup>(١٤)</sup>، جث رمون<sup>(١٥)</sup>، ايلون: بيده، حنان: بلوط: بيت النعمة<sup>(١٦)</sup>.

وضع الفلاح نتيجة مراقبته الدقيقة للنبات قوانين كثيرة تتعلق بالطقس والزراعة<sup>(١٧)</sup>. ويعتقد أن بإمكانه التنبؤ فيما إذا كانت محاصيل الشتاء أو الصيف ستكون جيدة أم لا<sup>(١٨)</sup> بمعرفة الطريقة التي ينور بها البصل، فالتنوير يمر في ثلاث فترات مميزة تدعى «ربطات أو بروج»، فإذا كانت الفترة الأولى تتميز بكثرة التنوير فهي فال طيب للمحاصيل الشتوية. أما كثرة التنوير في الربطة الثالثة، فدليل على محصول صيفي جيد. أول أسبوع بعد بداية نزول المطر يدعى أول ربطة، وهكذا ثاني وثالث سقوط للمطر في الأسبوع الثاني والثالث<sup>(١٩)</sup>.

لا يبدأ الفلاح عمله في الحقل، إلا بعد أن يسأل الله المساعدة والحماية<sup>(٢٠)</sup>، فهو يعرف كما يعرف أجداده، بأن كل عمله سيذهب سدى إذا لم يباركه الله<sup>(٢١)</sup>، ويعبر عن ذلك بجلاء بالقول التالي:-

«إن كان الله راد بيخصبها عالجمر، وإن كان الله راد بيمحلها عالنهر».

وهذه واحدة من صلوات كثيرة، يبدأ بها الفلاح عمله الزراعي: «ياربنا اطعمنا واطعم العمال والبطال واللي نايم عجنبة». ولقد سمعت في طولكرم عن التقليد الذي يتبع في زرع القمح «دللوا (قلوا) تستغلوا» أي «ابذر القمح قليلاً ويكون محصولكم خيراً».

أما بالنسبة للبقول، فالأمر يختلف، «ابذر عدس يوشوش وكرسنة تنادي وفول يقول الله لايرحم أبو الجماعة اللي بيدخل هوا بينها»، والمقصود هنا أن يزرع الفلاح العدس في مسافات قريبة، والكرسنة بعيدة، والفول ملاصقاً لبعضه البعض.

إن الأرض التي ينمو فيها القصاب أفضل من سواها لزرع عدس ينضج بسرعة عند طبخه، وبعكس ذلك، هناك العدس العصوص.

ينمو العشب<sup>(٢٢)</sup> مع المحاصيل الشتوية (متى ١٣ : ٢٦ - ٢٨) ويعشب عادة بواسطة العشاب أو أمعشب، وهكذا يقول المثل «العشاب غلب الكراب (الحارث)»، وقد وجدت هذه العادة في زمن المسيح<sup>(٢٣)</sup> (متى ٢٨١٣ - ٢٩).

كما أن التنبؤ بكيفية نمو المحاصيل « في الأشهر الأولى للزرع ليس بمقدور واحد. لا تنظر زرعك يا مسكين تَيطَلَعُ غراب التين »<sup>(٢٤)</sup>.

وباستطاعة الفرد تقدير جودة الزيتون في آذار، إن أبرز في آذار هيئوا له الجرار، (للزيت) « ولكن إذا تأخر التنوير حتى نيسان يكون المحصول أقل « إن أبرز في الخمسين<sup>(٢٥)</sup> هيئوا له المغاطيس » والخميس هنا هو شهر نيسان، وتبدأ الدوالي بالتبرعم في آذار « العنب في آذار قد دينين الفار ».

ويخاف الفلاح الرياح القوية عند بدء ظهور سنابل القمح، حيث أن مثل هذه الرياح تؤدي السنابل، « هو السبل يبهده الجبل »<sup>(٢٦)</sup>. ويتميز شهر نيسان بظهور « شقيق نيسان »<sup>(٢٧)</sup>، وازهار الهندبة الزرقاء تحدد الفترة مثل العويسج الذي يغطي مساحات واسعة من التلال والحقول<sup>(٢٨)</sup>.

ويتبع أصحاب المواشي التقليد التالي: « إن فاتك الربيع عليك بالصقيع »<sup>(٢٩)</sup>، (والربيع هنا هو العشب الأخضر، الذي ينمو في فصل الربيع، والصقيع تعني الأوراق اليابسة للذرة). عين القاني (مالك القطيع) ربيع ثاني « وغيره مرعاك بتسمن معزاك »<sup>(٣٠)</sup>. ويبين القول التالي وقت حصاد القمح والشعير « إن مشمش<sup>(٣١)</sup> القمح انزل عليه وإن مشمش الشعير ارحل عنه »، (ويعني أنه إذا أصبح لون القمح أصفر كالمشمش الناضج عليك بحصده، وإذا أصبح لون الشعير أصفر، عليك بتركه<sup>(٣٢)</sup>، ويعتقد الفلاح أنه من الأفضل إنتظار اسبوع أو أكثر قبل حصاد الشعير.

وعدم تدرية القمح حتى نهاية شهر آب يسبب في خسارة المحصول كله، لأنه لن يكون هناك إمكانية خزن الحبوب قبل نزول المطر المبكر: « إن مر آب وما ذريت عدك بالهوا انغريت » « وقيموا ببادركم أجا الصفاري، (العصافير الصفراء) »<sup>(٣٣)</sup>.

يتوقف كثير من الفلاحين عن طبخ الوجبات عندما تنضج بعض أنواع الفاكهة، مثل البطيخ والتين والعنب، « طل البطيخ بطلوا الطبخ »، « طل العنب والتين بطلوا العجين ».

ويؤمن الفلاح بالقيمة الغذائية للعنب، « الجلد للجلد واللحم للحم والبذر للعظم »، ويعني أن قشرة العنب تفيد الجلد، واللحم يفيد اللحم، والبذور تفيد العظام. وهناك الحكمة المألوفة في « القيص كل القيص والحقه بالبيض » ويعني: في الفصل الحار (الصيف) تناول العنب والتين، وقم بالجماع، ويعتقد أن الأطفال الذين يبدأ تكوينهم في هذا الفصل، يولدون أصحاء وأقوياء.

والمثل التالي يصف قيمة التين في الفترات المختلفة « التين أوله نقود وآخره أفوض » أي يكون التين في بداية الموسم قليلا، وبالتالي يدر المال، على عكس نهاية الموسم. كما أنه يقال « كل أول العنب وآخر التين »، والأساليب التالية تتبع في عملية تجفيف العنب والتين، « لا تقطع العنب للزبيب تيمر الصليب (عيد) الصليب في ١٤ أيلول حسب التقويم الشرقي ».

« اضروا المساطيح من الريح »، ويعني بها حماية العنب والتين المنشور للتجفيف من

#### الرياح.

وفي هذا الوقت من السنة يجب أن تطعم الأبقار جيدا، حتى تكون قوية في الحرث، « اطعم في التين تلاقي في الطين » أي أطعم الحيوانات في وقت التين، تجدها قوية وقت الحرث، وقل لنا عن الدجاج « اطعم شعير وعبي بيض في القفير » أي أطعم الدجاج شعير واملأ السلال بالبيض، والفراخ التي تفقس في هذه الفترة تبقى ضعيفة « صوص التين بياكل وبنين » ولكن التي تفقس في أيار وحزيران تبقى قوية « صوص المشمش بيوكل وبيقمز، (يقفز) ».

يتبع الفلاح الطريقة التالية في زرع أشجار التين ودوالي العنب « صف التين واغرز العنب خلف » ويجب ترك مساحة كافية لكل شجرة حتى تنمو، وتعطي محصولا جيدا، « ارفع اختي عني وخذ حملها مني »<sup>(٣٤)</sup>.

في أيلول<sup>(٣٥)</sup> يبدأ الزيتون في النضج، وتفقد الفاكهة في هذا الفصل مذاقها، « خيار تشريني شموني ولا تشتريني » « الخيار أوله للسلطين وآخره للمجانين أو الجراذين ».

أما عن الخبيزة: « الخبيزة أولها شربة وآخرها ضربة » أي أول الخبيزة تنظف الجسم كالمسهل، وآخرها بلاء.

يبدأ حصاد (جد) الزيتون في أواخر أيلول. « لما يصلب الصليب<sup>(٣٦)</sup> ما ترفع عن زيتونك القضيب » أي عندما يمر عيد الصليب، لا تتوقف عن قطف الزيتون، وهذا القول يصف أيضا الطريقة السيئة التي يتبعها الفلسطينيون، بضرب ثمار الأشجار بعصي طويلة. ونتيجة ذلك تتأثر الأغصان الليانة. ومن الطبيعي أن يكون عطاؤها محدودا في السنة التالية. ومن (التثنية ٢٤ - ٢١) نستدل على أن هذه العادة كانت تمارس في الأزمنة القديمة « زيت الملسي طيب اما لقاطه بشيب » (القول في اراطاس) « يازيتون. الحواري بيقلب زيتك مقالي »، ويقصد به أن الزيت من النوع الممتاز. « يازيتون الحق عليك بعصر زيتك من عينيك ».

حتى الارض تفتخر إذا أعطت محصولا جيدا»<sup>(٢٧)</sup> الارض إذا أثمرت بتقول أنا جبت، وإن أمحلت بتقول الله ما أعطاش».

واليوم، ومنذ القدم، يعتبر العمل في الحقول من الوسائل المشرفة للمعيشة<sup>(٢٨)</sup>، «الفلحة إن ما أغنت سترت» صاحب الجدر (أي الأرض المجردة) منصور<sup>(٢٩)</sup>.

ويشعر الفلاح بالإمتنان تجاه الله، الذي يعطي كل شيء بعد الإنتهاء من الحصاد. ولهذا فهو يقدم لبعض المقدسات أول الفاكهة، وأجود الزيت، وهكذا يدعي أول صاع<sup>(٣٠)</sup> من القمح صاع الخليل (صاع ابراهيم) ويعطى للفقراء. ويقول بدو العدوان، «أول صاع قطاع للنبي شعيب». وتعطى الحبوب للقائم على المعبد. وأحيانا يذبح خروف عند انتهاء درس القمح، ويسمى خروف الخليل، ويعلق كثير من المسلمين في الولي «كف قمح» تدعى أيضا «قشط قمح» واحد أو أكثر، كعلامة لامتنانهم. ويقدم المسيحيون للكنيسة باسم العذراء، كمية من الزيت المعصور حديثا، وبعد هذه التقدمة، يكون بالإمكان بيع أو استعمال الزيت الجديد. اعتاد سكان بيت جالا أن يقدموا أوائل ثمار كروم العنب لمذبح الكنيسة<sup>(٣١)</sup>. وحتى الآن يقدم أوائل العنب من قبل الكثيرين للكنيسة<sup>(٣٢)</sup> في عيد (التجلي) وبعد أن يبارك العنب من قبل القسيس<sup>(٣٣)</sup> يوزع على المجتمعين في الكنيسة. ومن المؤسف أن تختفي بعض هذه العادات.

ويبين هذا بوضوح عادة تقدمه الفاكهة الأولى المذكورة في التوراة<sup>(٣٤)</sup> ويعتبر حصاد الحبوب وجمع الزيتون من المناسبات المفرحة دائما، ويقوم به الرجال والنساء والأطفال. ويعتبر جمع الزيتون وحصاد الحبوب عملا شاقا، بينما حراسة كروم العنب وجمعها أوقات مرح وتسلية، حيث تذهب العائلة بأجمعها إلى الكرم، وتقضي مدة شهرين أو ثلاثة في اكواخ من الأغصان والبوص تدعى «قصر» (متى ٢١: ٣٣، أشعيا ٥: ٢). وأساس البناء يبني بالحجارة، والكوخ يعاد بناؤه كل عام<sup>(٣٥)</sup>.

بالإمكان مراقبة كل الكرم من هذه الأبراج العالية<sup>(٣٦)</sup>، وتتعالى أصوات النساء والغناء خلال النهار عند جمع أو نشر التين لتجفيفه، أو عند القيام بأعمال أخرى<sup>(٣٧)</sup>.

وبداية نزول المطر تضع نهاية للحياة في الحقول حيث تهجر التلال والجبال (أشعيا ١٠: ١٦).

تجتمع العائلة بعد الظهر تحت شجرة للحديث والخياطة والتطريز (الملوك الأول ٤: ٢٥، ميخا ٤: ٤) وكما هي العادة منذ القدم يستقبل الضيف ويكرم تحت الأشجار (صفنيا ١: ٣).

وما زالت الحمير والبغال تربط بدالية أو شجرة تين، (التكوين ٤٩: ١١)، والفقرة التالية تصف الحياة الخارجية، وتبين أيضا أن وجود الأصدقاء يرتبط بمدى حصولهم على المنفعة، «يوم عنبك وتينك كل الناس محبينك» خلص عنبك وتينك كل الناس عدوينك<sup>(٣٨)</sup>.

يقضي الأطفال النهار في اللعب في الهواء الطلق، عراة الأقدام، ومكشوفي الرؤوس<sup>(٣٩)</sup>.

ويعود الذكور من العائلة من عملهم اليومي، ويمضون الليل في الكرم.

والأغاني المفرحة ومظاهر الصحة هي برهان كاف على سعادة الناس، في هذه الحياة البسيطة<sup>(٤٠)</sup>.

لكن الوضع يختلف فالعمل شاق، ولكن رغم هذا يغني العمال بسرور في ذلك الوقت. (أشعيا ٩: ٣) ويسمع المثل التالي في طولكرم «في أيام الحصيد بنغني قفايد».

ملاحظة: والمدهش أن الفلاحين لا يغنون فقط في الاحتفالات، والأفراح العائلية والعامية ولكن أثناء الأعمال الشاقة أيضا، كالبناء، والعقد، وحمل الأحمال الثقيلة، والحصاد، وما شابه ذلك<sup>(٤١)</sup>. وطبعا لا يرافق الغناء التصفيق والرقص والعزف على الآلات الموسيقية لئلا تؤخرهم عن العمل. ولقد ذكر دالمان في كتابه (من صفحة ٤ - ٢٢، ٢٥ - ٢٩ بعض الأغاني التي تغنى في معصرة الزيت).

يقضي الفلاح أياما وليالي على البيادر، حتى ينتهي من كل عمله، (راعوث ٣) ويسمح للجميع بجمع بقايا السنابل، أو الفاكهة، بعد حصاد قطعة من الأرض، أو قطف الزيتون، ومن عدة أشجار، وتعطى الأفضلية للأرامل والأيتام والفقراء. وهذا أيضا إحياء لعادة جاءت في التوراة (الثنية ٢٤: ٢١، راعوث ٢) ويقول المثل «ما لاقطة» إلا وراها ستلتقطها امرأة، ويسمى مثل هؤلاء (الملقطين) «وبعارات»<sup>(٤٢)</sup> أو صيافات» وكانت الكلمة الأولى تطلق على ملقطي الحبوب والثانية على ملقطي الزيتون. أما اليوم فقد اختلط التعبيرات، وكلمة «صيافات» أكثر استعمالا.

وعادة يصبح هؤلاء الملقطين معتدين، خصوصا في السهول الساحلية، حيث يكثر اعتداؤهم، ويحاولون سرقة أكوام الحبوب؛ لذلك يضع الملاكون الأغنياء ناطورا، عليه أن يستعمل القوة ضد هؤلاء، كما كان في أوقات التوراة (راعوث ٢: ١٥،<sup>(٤٣)</sup> ويبقى الملقطون مشغولين، حيث أن الحاصد لا يعود لجمع سنبله وقعت سهوا، لأنه يعتقد أنها

تؤخذ كبركة الحصاد (اللاوين ١٩: ٥-٩)<sup>(٥٥)</sup> وهناك مثل يقارن بين الملقطين والحاصدين «اللقاط أحسن من الحصاد».

وعندما يجلس الحاصدون لتناول طعامهم، يناديهم صاحب الحقل، أو من ينوب عنه، ليعودوا إلى العمل قائلاً «اللي أكلتوا منه قوموا عليه».

يترك البدو من قبيلة العدوان الجزء الأخير من الحقل بدون حصاد، فيحصده الفقراء والعمال لأنفسهم، ومثل هذه التقدمة تدعى (جرعة). ويشوي الفلاحون آخر حزمة من القمح، ويحتفلون عند انتهاء الحصاد بأكملها، وتدعى قلية (من قلى أي يشوى). وما زالت العادة للأصلية السامية القديمة موجودة في بعض الأمكنة، وهي دفن آخر حزمة من القمح في نفس المكان الذي حصدت فيه، بينما تتلى بعض الآيات القرآنية<sup>(٥٦)</sup> وهذه تقدم للقوى غير المنظورة التي تعيش في الحقل، والتي يعتقد بأن كل أملاكها قد انتزعت منها، ويقدم جزء من الحبوب لهذه القوى الخارقة لتهدئتها، ولضمان غلة وافرة في السنة القادمة<sup>(٥٧)</sup>.

وعلينا الأخذ بعين الاعتبار الاعتقاد بتأثير الفاكهة والخضروات على جسم الإنسان وروحه. ويعتقد الفلسطينيون في الوقت الحاضر، كما كان يعتقد قدماء اليهود، بأن تناول بعض أنواع الخضروات تسبب بعض الأمزجة والحالات العقلية<sup>(٥٨)</sup> فاللحم: يثير الجسم الإنساني والغرائز الجنسية<sup>(٥٩)</sup>، والخضروات: تسبب حالات الحزن والكآبة (الثنية ١٦: ٣)<sup>(٦٠)</sup>، لذلك يتناول المشعوذون الفاكهة والخضروات فقط<sup>(٦١)</sup> قبل قيامهم بالطقوس المقدسة والسحرية. والامثال التالية لها مدلولها في نفس الإطار «الزبيب ما بيات في جوف إنسان إلا أصلحه»، «التين ما بيات في جوف إنسان إلا أفسده»<sup>(٦٢)</sup> «الخيار يطفي عن القلب النار»<sup>(٦٣)</sup> - أي يروي العطش -، «والبطيخ باكل مه، بتقرش منه وبطعم حصاني منه» «أكل المشمش مدحش» - أي أنه مفسد لمحتويات الأمعاء - «أكل الجوز بيري امكارم في الجوز» - (يزيد الزوج خصوبة) «اللي بياكل الفجل بيشابه العجل» (أي أنه يسبب له الأرياح).

«اللي بياكل فول بيصير راسه أقوى من العالول»، «تحت الدوم (الزيزفون) بيحلو النوم»، «شرب الدخان بيذبل النسيان»، «إن كثرت همومك عبي غليونك»، «من أكل أربعين يوم فول (استتيس) - أي أصبح مثل التيس، الذي هو رمز للغباء - وتعتبر البقول ذات قيمة غذائية، وتثير الأعضاء الجنسية. «شو اتذكر منك يا سفرجل كل عضة بعضة».

«الفجل ماله شراب والحيوان ماله جواب»، دلالة على عدم توقع الخير من إنسان

سيء. «التفاحة ما بتشبع بس بتعقد المنافس» - أي تزيد الشهية.

واستعملت النباتات لتفسير العلاقات العائلية، وإعطاء النصائح الرمزية لإختيار العروس. وهنا أمثلة قليلة من هذا النوع: «صحن المشمش لا تكمش، دور عاللوزية زينة البنات لا توخذ، دور عالاصيلة».

والمعنى الجاري للقول السابق أن ثمار فاكهة المشمش أجمل من ثمار اللوز، ولكن شجرة المشمش تطعم بشجرة اللوز.

«إن رعيت أرعى النوار والمرعى لا ترعى فيه» - ينصح المثل باختيار أفضل الفتيات كزوجة، وعدم اختيار أرملة أو امرأة سبق لها الزواج.

«زوان بلدك ولا القمح الصليبي»<sup>(٦٤)</sup> ويعني أن فتيات بلدك، أفضل من الغريبات الجميلات.

«أرعى من ربيع بلدك، ولو انه اقحوان»<sup>(٦٥)</sup> «كل فولة مسوسة بيجيلها كيال أعور»<sup>(٦٦)</sup> مهما بلغ القبح بفتاة فإنها ستجد لها زوجا ملائما.

«صام وصام وافطر بصله مصننة»<sup>(٦٧)</sup> - أي أنه بقي أعزب مدة طويلة، ثم تزوج من دون مستواه العائلي -

وإذا أصر الأهل على عدم تزويج الفتاة الصغرى، الأجل، قبل الكبرى يقول العريس: «بدلنا السخلة بالنخلة»<sup>(٦٨)</sup> أما عن العريس فيقال: «وعدونا بالوردة وأعطونا الدفلة (نبتة سامة عطرة الزهر)».

حب الصهر في الصهرة

مثل المي عالبلوط

حب الحماة للكنة

مثل المي عالمكوك

وتعني حب الصهر لحماته (لذيذ)، مثل شرب الماء على (جوز البلوط)، وحب الحماة للكنة بغيض، مثل شرب الماء على الخروب الأخضر.

ويقارن الفلسطيني أعضاء الإنسان وصفاته الخلقية بالنبات وأجزائه، وتعكس الأقوال اللاحقة ملاحظته الدقيقة، وطريقة تفكيره البدائية، والتعابير التالية تستعمل لكلا



الجنسين<sup>(٧١)</sup>، «أيديه مثل النعنع»، «أيديه مثل لب الخيار»<sup>(٧٢)</sup>.

«يا طاهر ويا بيطارُ (طبيب الماشية)

وياديته لب خيار

لن هودع الساحة

قاموا له صغار وكبار»

لون العيون: <sup>(٧٣)</sup> «عيونه زي الهندبة (صافية وزرقاء).

«عيونه زيتونيات». ويقارن شكل العيون باللوز والنرجس - «البنيت الشلبية

(الجميلة) عيونها لوزية»<sup>(٧٤)</sup> «وغطي جفونك يا عيون «النرجس»<sup>(٧٥)</sup>.

الرأس: «راسه زي البطيخة» - أي كبير «ومدور - «راس قدوس» (بطيخ مستطيل).

وكانوا يفضلون الوجه الجميل ذا الخدين الأحمرين، ويسمونه الأبيض، يشبه الوجه الأبيض

بالياسمين، والخدود بالورد والتفاح، «الوردة جنب الفلة أحمر وأبيض واهديني»، «الزهر

في خدك ألوان، والورد والفل الزاهي»، «العنبر والورد الأحمر مجتمعين فوق الخدود،

كما يشبه الشفاه بالتفاح،<sup>(٧٦)</sup> وفواكه اليزفون الحمراء، والصدر بستان فيه رمان<sup>(٧٧)</sup>، خوخ

وايجاص وعنب «صدرها بستان<sup>(٧٨)</sup> نزرع فيه خوخ ورمان يا ربي»

«مين يقطف يا حبي تفاح الخدود مين يخبي يا ربي رمان النهود»

بالإضافة إلى البشرة البيضاء، ويفضلون أن يكون لون البشرة بنيا فاتحا، أي قمحيا

أما عن الأسنان «سنانها زي القحوان» ويشبه الجسم المرن «لغصن في قدك لو مال، شكلك

يمائل أوصافة»، «الغصن لو شافك يزيد اعتدال» طولها طول النخلة، (النخلة

المسحورة)<sup>(٧٩)</sup>.

«تخنه تخن الجميزة» «فلان مثل خشب التين»<sup>(٨٠)</sup> أي تخين وأجوف)، وهناك

اختلاف في استعمال التشبيه بشجرة النخيل،<sup>(٨١)</sup> وشجر الحور، فالرجل الطويل الذكي

يقارن بشجرة النخيل، بينما يشبه الرجل الضخم الغبي بالحور، فشجرة النخيل تعطي

البلح، بينما شجرة الحور لا تعطي البلح، ولا تعطي إلا الخشب، ويقال «خشبه يابس أي

صلب القوام».

ويقال عن الرجل الأصلع والأمرد «راسه (ذقنه) كوسى»، وكوسى تعني أمرد، وأصلها من «كوسج»، ويقال عن الشيخ الضعيف، «استوى الزرع» ويعني به القمح قد نضج، وأن الأوان لقطفه.

ويصفون الكلام الذي لأمعنى له، بقولهم: «حكيه زي الخرفيش»<sup>(٨٢)</sup> لا فيش ولا عليش «حكيك زي أكل الحصرم بيضرس».

وتخاطب الأم ابنها بالقول التالي: «يا حشيشة قلبي» أي ينمو في قلبها، وعن الشخص المتقلب يقال «انت زي ورق الخبيزة»، التي تغير اتجاهها باستمرار، تبعاً لأشعة الشمس.

وعن الشخص العنيد يقال: «عقله زي عقدة البلوط»، أي مثل البلوط التي لا يمكن تكسيرها إلا قطعه بالفأس، أو المنشار، إنما النار فقط تتغلب عليها. «فلان مدق زبيب» مثل ساق الزبيب لذيق المذاق ولكن لا يمكن أكله.

وعن الذي يتباهى بنفسه: «أنت زي الخروع»، ويقصد به نبات زيت الخروع، الذي تمتد أغصانه، وتمنع الضوء والهواء عن النباتات الأخرى «أجا مين يعرفك يا بلوط» حيث أن شجر البلوط يعتبر عديم الفائدة، وعن قوة التحمل والصبر، يقال: «اللي بيصبر عالحصرم بياكل عنب»<sup>(٨٣)</sup>، ويقال عن المتطفل الذي يتدخل في أمور غيره «زي البصلة بتدخل في كل طبخة»، «زي طيبخ القرع»، ويشبه البخيل والطماع بالكمون<sup>(٨٤)</sup> ويقال عنه «أبو كمونه»<sup>(٨٥)</sup> لأن أزهاره تنكش على نفسها عندما تكون بذوراً مثل يد البخيل التي يغلقها باحكام<sup>(٨٦)</sup>.

وعن الشخص الخبيث يقال: «زي حبة التبن تقرص من تحت لتحت»، «وعن المنافق»، «زي حبة العدس ما حدا بيعرف بطنها من ظهرها»<sup>(٨٨)</sup>.

ولعديم الفائدة يقال: «مثل البصل كل ما كبر كل ما رخص»، «زي قرن الخروب لا بينعض ولا بينمضغ»<sup>(٨٩)</sup>. «أنت زي قرن الخروب كل ما طال عمره اسود وجهه وانحنى ظهره»، «مثل حبة البركة كل ألف برغيف»، «زي نوار السفرجل من كل ميه بتعقد واحدة»<sup>(٩٠)</sup>.

وعن الشخص الذي يبقى على اعوجاجه: «طول عمرك يا زبيبة وفي (٠٠٠) هالعودة»، «طول عمرك يا باذنجانة و (...) عريانة. وعن المتكبر: عمر ما شجرة وصلت لربها إلا واجا الهوا وهبها»<sup>(٩١)</sup>.

نجد نفس الفكرة في دانيال ٤ : ٧) ويقال أيضا «كبر الباذنجان واتدنت اجراسه ونسي قفة الزبالة اللي كانت تنكب عراسه»، «مثل البقدونس (... ) وبيعاشر الأكاير عالسفرة (الموائد) (كبر البصل واتدور ونسي زمانة الاول)<sup>(١٢٢)</sup>.

والامثال التالية تبين أن كل إنسان معرض للفشل: «ما شجرة إلا انهزت» «ما شجرة إلا حركتها الارياح»، «ولا سكرة (قفل) إلا لقلقها مفتاح»، «كل عود اله دخان»<sup>(١٢٣)</sup>.  
والبعض يضيف عليها «حتى عود الصليب اله دخان».

وعن الصفات الوراثية يقال: «البصل ما منه عسل»، «بياكل توت وبيرجع للجدود»<sup>(١٢٤)</sup>، ويقصد به بانه يعرف أصله من طريقة أكله لهذه الفاكهة - وهي بالأصابع أو بعود مدبب - ويمكن التعرف على الطبقة التي ينحدر منها «أمه الثوم وأبوه البصل. منين تجيه الريحه الزكية»<sup>(١٢٥)</sup>.

«عمره ما بيطلع من النتش يواصيل»<sup>(١٢٦)</sup> (عامود المحراث)<sup>(١٢٧)</sup>، «على القرمية بتنتبت العروق (السربوخة)<sup>(١٢٨)</sup>». ولكن هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة، ويظهر في المثل «ياما وردة خلفت شوكة وياما في شوكة خلفت وردة»<sup>(١٢٩)</sup>.

ويعبر عن النوايا الحسنة بالكلمات التالية، التي يشابهها ما جاء في التوراة:  
«بأكل خبزة ودقّة (الزعترب) ولا بيات حَزَقَه (بغضَب) ولا بأكل لحمة سمينّة وبأكل عليها غبينة»<sup>(١٣٠)</sup>  
(غش وخداع)

(ويبين المثلان أن صحبة الأشرار تسبب الضرر، «يا داخل بين البصلة والثومة يا طالع بالريحة الشنعة»<sup>(١٣١)</sup>، «واللي بيجي بين البصلة وقشرتها بده يحمل صنتّها».

وحب الأبناء لأبائهم بصورة القول التالي (ما بيحن، على العود إلا قشرته)، وعن البيت الممتلئ بالأولاد «البيت ملآن مثل الرمان».

وعن الأولاد العاقين، يقال «ما بيقطع الشجرة إلا فرع منها ميت»، ويقصد أن فرع الشجرة يستعمل كمقبض للفأس التي تقطع الشجرة «ربيتك يا شجرة لأكل منك ثمرة».

وعن المعتوه، يقال: «الطول طول النخلة والعقل عقل السخلة»<sup>(١٣٢)</sup>، «عقله جوزتين عجمل»<sup>(١٣٣)</sup>.

ووصفت مراحل الحياة المختلفة وصفا جميلا في الأقوال التالية :-

للمتشبت في الحياة، نقول «شرشة قوي»

«ابن عشرة مثل الخيارة المقشرة»

«ابن عشرين بيعاشر مجانيين»

«ابن ثلاثين زهور البساتين»

«ابن أربعين من الكاملين».

أو «ابن عشر سنين زهور البساتين»

«ابن عشرين مثل المجانين»

«ابن ثلاثين أبو العقل الرزين»

«لا شجرة تنبت ولا سطل يرتفع» أي الإنسان له أجله.

«اللي بياكل قد زببية ما فيه ولا مصيبة»<sup>(١٣٤)</sup> والمصيبة هنا تعني المرض.

«مصايب الدهر أكثر من نبات الارض»<sup>(١٣٥)</sup>، «لما زرعك إبليس كنت أنا مسيل»  
(ويقال هذا المثل بمعنى، أنني اكبر وأكثر حكمة منك). «الشجرة اللي ما بتثمر قطعها حلال»<sup>(١٣٦)</sup> «حكيم بلا عمل مثل شجرة بلا ثمر»، وتعني أن الرجل المتعلم بدون عمل منتج، كالشجرة بلا ثمر.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار تأثير النبات على الدين، نلاحظ احساس الفلاح بجمال الأشجار والاعشاب والزهور، فهو يعتبر بأن نمو النباتات وخضرة أوراقها وبراعمها الجميلة، وفاكهتها المنعشة، دليل على قدرة الله الخارقة، فبالنسبة للفلسطيني ليست الأشجار مجرد نباتات، بل هي موجودات تحوي قوى خارقة، حيث تعيش، وتظهر فيها أرواح القديسين والأولياء.

وهذا يعطي تفسيراً لوجود الأشجار في ستين بالمئة من المزارات الإسلامية، التي تكرم كأماكن مقدسة<sup>(١٣٧)</sup>. حيث يعلق عليها الفلاح قطعاً من القماش، ويستعمل أوراقها لعلاج الجروح<sup>(١٣٨)</sup>، ويمتنع عن قطع أغصانها، حتى ولو كانت يابسة، والاعتقاد بقداسة الأشجار قديم، وبالإمكان تتبعه في تاريخ أطفال فلسطين من المراحل المبكرة، ولا تحتاج هنا إلى مزيد من التوسع في هذا الموضوع (انظر أشعيا ٥٧ : ٣:٦٥، ٢٠:٢، ١٣:٣، ١٢:١٧ حزقيال ١٣:٦، ٢٠:٢٨، يهوشع ١٣:٤).



ومما يجدر ذكره، أن الفلاح في الوقت الحاضر، لا يكرم الأشجار لذاتها، وإنما للقوة الإلهية التي تحل فيها، وفي المكان الذي ارتبطت به كالمزار أو القبر أو الكهف أو النبع، وغالبا ما يظهر هؤلاء الرجال المقدسون على الشجرة، أو بقربها. ومن ملاحظة أنواع الأشجار المقدسة، نرى أنه بالإمكان تقديس أي شجرة تنمو في فلسطين عن طريق الأولياء، وهذا يدل بوضوح على أن تقديس الشجرة أما أن تكون مقرونة بمزار أو قبر أو مسكونة بروح قديس، أو نصب محلي للفلاحين<sup>(١١٤)</sup>.

ومن الممتع أيضا دراسة الأفكار الشعبية الأصل وأهمية بعض النباتات.

تلعب الشجرة دورا هاما في الحياة اليومية الفلسطينية<sup>(١١٥)</sup>، ومما لاشك فيه أبدأ أن ذلك من آثار الماضي البعيد، وفي رأي الكاتب أنه في يومنا هذا، يعتبر الفلسطيني شجرة النخيل الجميلة والدائمة الخضرة<sup>(١١٦)</sup> والمنتصبة النمو، «شجرة الحياة» وهذا التعبير نفسه غير مستعمل الآن، ولكن تحليل الخرافات والمعتقدات والعادات المرتبطة بشجرة النخيل، تقودنا إلى هذه النتيجة<sup>(١١٧)</sup>.

هناك معتقد شعبي بأن سبب حب المسيح لأمه ناتج عن البلح الذي كان غذاؤه الرئيسي<sup>(١١٨)</sup>. ولذلك يسقى الأطفال حديثو الولادة بضعة نقط من نقيع البلح<sup>(١١٩)</sup>. ويتناول كثير من المسلمين البلح كغذاء أساسي عند «الفطور» في رمضان. ويروى أيضا، بأن البلح كان غذاء النبي الأساسي. وأن الطفل الذي يشرب باستمرار عصير البلح يحصل على موهبة الحديث<sup>(١٢٠)</sup> الساحر، والجذاب. وفي كل هذه الحالات، فإن بلح مكة هو المفضل.

وتبرز اليد وأغصان النخيل<sup>(١٢١)</sup> والشعابين<sup>(١٢٢)</sup> في زخارف المزارات الإسلامية. وأول اثنتين تشاهدان ان أكثر. وحتى في زخرفة جدران الغرفة تبرز صور أغصان النخيل، وفي المعابد والبيوت، تجد زخارف من أوعية الزهور، والآيات القرآنية أيضا.

وتظهر الرسومات المستمدة من شجرة النخيل أيضا في تطريز الفلاحين المسيحيين في بيت لحم، ورام الله<sup>(١٢٣)</sup>. وتعتقد كثير من النساء اللواتي ينتسبن إلى الكنيسة الارثوذكسية، بأنه يمكن معالجة العقم بتناول البلح من شجرة النخيل في مارسابا<sup>(١٢٤)</sup>، والإسم العامي لمقدمة عضو الذكر الجنسي هو تمرة، (مشتقة من ثمرة).

يحمل المسلمون أغصان النخيل في مقدمة موكب الجنائز، ومن ثم يضعونها على القبر. ولقد رأيت عدة قبور مزخرفة بأغصان النخيل في مقابل المدن في المناطق الساحلية. وتغرس أغصان النخيل أيضا حول القبر من أربع جهات، بحيث تلتقى رؤوس الأغصان.

وكثيرا ما تعلق الأزهار على هذه الغصون. وهناك معتقد شعبي بأن الميت يستطيع أن يشكر الله ويستغفره ليكفر عن ذنوبه ما دامت هذه الأغصان خضراء. وكثيرا ما تكون حجارة القبور حاملة رسوم وأشكال النخيل. وهناك معتقد اسلامي بأن الله خلق شجرة النخيل من الطين، الذي بقي عليها بعد خلق الإنسان، وهكذا يقال بأنها تحتوي على نفس «عصارة الحياة» الموجودة في الإنسان<sup>(١٢٥)</sup>. ويظن أن النبي قال هذا الحديث: «أكرموا عماتكم أشجار النخيل<sup>(١٢٦)</sup>»، «واعتمادا على هذا الأصل المشترك لكل من الإنسان وشجرة النخيل، ساد الاعتقاد بتشابه شجرة النخيل والإنسان في انتصاب القامة. وفي الصفات البارزة للشجرة المذكورة، وبالأعراض التي تصيب كليهما، وكذلك يكون فقدان الإنسان والنخلة لحياتهما، عندما يفقدان الرأس أو التاج.

وعلى المائدة التي أرسلها الله لعيسى من السماء<sup>(١٢٧)</sup>، وكان هناك خمس حبات من البلح من فاكهة الجنة<sup>(١٢٨)</sup>. وتبعاً لذلك يعتقد بأن المريض يشفى بسرعة، إذا تناول البلح<sup>(١٢٩)</sup>.

وهناك معتقد مشهور بأن الصخرة المشرفة في القدس تجثم على شجر النخيل نامية بجانب أحد جدران الجنة، وتمتص ماء الحياة منها باستمرار.

وبعد تفحصك هذه الأدلة نتساءل، لماذا ارتبطت كل هذه الخرافات بشجرة النخيل رغم ندرة وجودها في فلسطين وعدم اقترانها بأي نبي وعدم ورودها في الكتب المقدسة التي اقتصر على ذكر الكروم وأشجار الزيتون؟. ورجوعا إلى التعاليم الإسلامية، بأن الله نفسه، قد اتخذ قسما على نفسه بشجرة الزيتون<sup>(١٣٠)</sup>. وتحليلا لمعتقدات الأمم الشرقية القديمة، تبين بأن شجرة النخيل لعبت عندهم أيضا دورا مهما، فهي تكرم على أنها «شجرة الحياة»، وتشاهد على الأعمدة البابلية كرمز للنصر، كما تشاهد على الخرائط المجسمة الآشورية في القصور الملكية، وعلى الأبنية والأدوات الفخارية الكنعانية، وعلى العملة اليهودية<sup>(١٣١)</sup>. ومن المحتمل أن تكون فكرة «شجرة الحياة» هذه، وهي علامة الخلود أساس العادات والأساطير التي يمارسها الفلسطينيون في الوقت الحاضر، ومما يدل على ذلك الاعتقاد، بأن الله خلق شجرة النخيل من نفس الطين الذي خلق منه آدم الخالد، حيث أن آدم أصبح فانيا، بعد وقوعه في الخطيئة. ثمرة «شجرة الحياة» تخلق الحياة في المرأة العاقر. ويعتقد كذلك أن وضع أغصان النخيل على قبر الميت، تبقيه في الحياة لمدة، مع كون جسده ميتا. وفي المزارات الإسلامية نجد تصويين للحياة شجرة النخيل والشعبان أي (حية)، وهي مأخوذة من كلمة حياة<sup>(١٣٢)</sup>. وتكتسب أهم المزايا الروحية والأخلاقية كالحكمة والحب، والورع والحديث الجذاب، يتناول ثمار شجرة الحياة المذكورة في (سفر

ويأتي الشعير في الدرجة الثانية، وخبز الشعير دليل على الفقر، ويعبر عنه جيدا في القول التالي: «ما شفت يوم تأبكي عأيامه إلا خبز الشعير وقلة أدامه»<sup>(١٤٥)</sup> وخبز الشعير وقلة السمن، هما من علامة الفقر «مثل خبز الشعير مأكول ومذموم»<sup>(١٤٦)</sup>.

قيل أنه عندما أراد النبي تزويج ابنته من علي، اعترضت على الزواج بسبب فقر الأخير. وحينئذ برك الله في الفقير ابن الفقير، برك الله في القمح خلط الشعير»<sup>(١٤٧)</sup>. وهذا القول يبين عدم اكتراث النبي بالفوارق الإجتماعية فهو يشجع زواج الفتاة من الشاب الفقير القوي، وصحيح الجسم. وما زال خبز الشعير الغذاء الرئيسي لقسم كبير من الناس<sup>(١٤٨)</sup>، ويصف الفلاحون خصائص كل من القمح والشعير والذرة بالحوار التالي: «أنا القمح برمخ رمح، بتقدم للضيف بلا غماس»، «أنا الذرة الدارية زي الرمح العالية، زيني زين الملاح طولي طول الرماح»<sup>(١٤٩)</sup> وسمعت أيضا «أنا الذرة المتذارية أم الفروع العالية، يسرحوني ف الجربان بيرجعوني»<sup>(١٥٠)</sup> عالجمال». أما الشعير فهو محتقر<sup>(١٥١)</sup> «الشعير للبعير» وأحيانا تسخر الذرة من القمح وتقول «اسكت يا أصفر يا مببطب»<sup>(١٥٢)</sup>، يا ملعبة البنات».

تشكو الخبيزة من حظها السيء إلى الفول «الخبيزة بتقول يا ابن عمتي يا قرين الفول أنا قلعوا شرشي ما خلو لي شرش يقوم» وتشكو المياه من الأشجار، التي كانت سببا في نموها «الأصل مني وأنا في الواد جريت وسقيت الغصون المدلاي وبنارهم انكويت»، وقد سمع هذه الشكوى بائع متجول كان يستريح تحت ظل شجرة على ضفة جدول، كان قد جمع الاغصان الجافة، وأشعل النار فيها ليخمر قهوته.

مع أن الأرز من أهم الأطباق العربية، لكنه لا يأخذ مكانة القمح «الرز ما هو عيش، ما بيشبع ولا جحيش (وجحيش صغير)» الخبز والرز هما الغذاء الرئيسي للشرقيين، وخصوصا الطبقة الوسطى منهم، يستعيض الفقراء عنها بالبرغل والعدس، الأرخص ثمنا، وهما بمثابة أرز الفلاحين<sup>(١٥٣)</sup>: «العدس رز الفلاح، ويوضح ذلك جيدا القول عن أرملة فقير، طلب منها أن تتزوج رجلاً فقيراً»<sup>(١٥٤)</sup> «أرملة أبعدس ومتجوزة بعدس خليكي بلا جوز تاكلي عدس» و الفرق بين الأرز والبرغل يعبر عنه بالقول «العز للرز والبرغل شبق حاله»<sup>(١٥٥)</sup> ويستعاض أحيانا عن اللحم بالبقول، «إن غاب الضاني عليك بالقطاني، أو بالحمصاني»<sup>(١٥٦)</sup>.

ويعتبر المشمش الذي ينمو في «السيلة»، والتفاح الذي يأتي من صيدا، من أجود الأنواع «عليك بالمشمش السيلوي والتفاح الصيداوي».

يعتقد الشرقيون بأن القمح في الأصل كان شجرة معرفة الخير والشر<sup>(١٣٤)</sup>، والتي كانت موجودة في وسط جنة عدن<sup>(١٣٥)</sup>، ومنها قطف الثعبان الثمرة، وأعطاهم لحواء<sup>(١٣٦)</sup>. وكانت حبة القمح في ذلك الوقت بحجم الخيارة، فقام آدم بزرعها، ولكنها نمت بحجمها الحالي فقط.

ويقال بأن حبوب القمح ما زالت تحمل حرف (أ)، وهو أول حرف لكلمة الله، ولذلك فهي تعامل باحترام وببذل الفلسطيني أقصى اهتمامه بعدم إيقاع فتات الخبز على الأرض، وإذا صدف أن وجد قطعة خبز على الأرض، يرفعها باهتمام ويقبلها، ويضعها في مكان لا تطأه الأقدام<sup>(١٣٧)</sup>.

وهناك قصة توضح هذا الإهتمام<sup>(١٣٨)</sup> فقد حدث مرة أن رجلا غنياً، دعا الله أن يعطي جزءاً من ماله إلى المحتاجين، لأنه لا يستطيع استعمال كل ماعنده. فأرسل الله إليه الملاك جبريل، الذي قال له: إذا أردت أن تستجاب دعوتك، تناول طعامك وانت تمشي» فاتبع الرجل النصيحة السماوية، ولكنه أثبت حول عنقه كيسا ذا فتحة واسعة، خوفا من وقوع فتات الخبز على الأرض. وعندما رأى الله عظمة ولاء خادمه لأصغر هبة وهبها، منحة عشرة أمثال ثروته.

ويذكر اسم الله لضمان البركة على القمح قبل بدء: الزرع، والدرس<sup>(١٣٩)</sup> والغريلة والكيل<sup>(١٤٠)</sup> والطحن، وكذلك قبل العجين والخبز، وتقطيع الخبز وأكله<sup>(١٤١)</sup>. وتعطي هه العادة للقمح مكانة مميزة. وفي السابق كان يضحى بخروف تكريما للنبي ابراهيم، بعد انهاء الزرع.

وأول وجبة تطبخ من محضول القمح بعد غربلته وتنظيفه، تدعى «سماط»<sup>(١٤٢)</sup> وتقدم «لخليل الله»<sup>(١٤٣)</sup> أو لقديس أو ولي آخر، ومن ثم توزع على الفقراء<sup>(١٤٤)</sup>.

توضح بعض الأقوال امتياز القمح عن غيره من الحبوب، ومنها «العيش مصحف الله» ويسمى المثل التالي في الخليل «لو الله بياكل لأكل خبز وعنب».

ورغبة ربة البيت الجيدة هي أن يكون عندها كمية كافية من الحبوب، إن كان القمح في البيت فرحت وغنيت»، «الخبز والزيت عمارة البيت». ويقال أن أفضل أنواع القمح، هو الذي ينمو فوق أرض مروية، «عليك بقمح البرية واحذر من قمح تحت المية».

وفي أول ليلة من شهر رمضان، ينثر الفلاح في مدخل البيت حفنة من سبعة أنواع مختلفة من الحبوب، وهي القمح والشعير والذرة والكرسنة والدخن والعدس والفاصوليا<sup>(١٥٧)</sup>، وفي بعض الأماكن يضاف إليها الملح. وكان يعتقد أن هذه الطريقة فعالة في منع الأرواح الشريرة من دخول البيت، ويظن أنهم يختفون في شهر رمضان خلف جبل قاف.

وفي رأس السنة الهجرية، تعلق كل عائلة، وخصوصا التي تسكن في المدن، غصنا أخضر على باب البيت. وتمارس هذه العادة أيضا في أول يوم تدخل العروس لبيت عريسها<sup>(١٥٨)</sup>.

وتستعمل الأغصان الخضراء عند نصب الدعائم الخشبية لسقف البناء، وأحيانا عند الانتهاء من بناء القنطرة، ويفضل تثبيت غصن زيتون في أعلى الدعائم الخشبية في حالة بناء السقف. ولهذه العادات معنى رمزي، فالغصن الأخضر هو علامة السلام والرخاء، ولنفس السبب يقال عن المرأة أو الفرس التي يظن أنها جلبت خيرا «اجرها أو أيدها خضرا»<sup>(١٥٩)</sup>.

ويفضل بعض الفلاحين تناول الخضروات والفاكهة ذات اللون الأخضر، أو الأبيض عند أول محرم. ويشبه الفلاح بأسلوب شاعري شجرة الزيتون والتين والعنب بالطبقات الثلاث، التي تسكن البلاد، وهي البدو والفلاحين وسكان المدن. فشجرة الزيتون التي تنمو في كل مكان، وتقع بالقليل من العناية والإهتمام، تشبه بالمرأة البدوية، وشجرة التين التي تتطلب اهتماما وعملا أكثر، بالمرأة الفلاحية، ودالية العنب<sup>(١٦٠)</sup> تشبه بالمرأة المدنية، التي تتحمل قليلا، وتتطلب اهتماما أكثر، وتعيش برفاهية. وهذا يوضح القانون الزراعي بأن شجرة الزيتون وشجرة العنب لا تزرعان في نفس البقعة من الأرض، واعتمادا أيضا على ما جاء في العهد القديم، من ذكر لشجرة التين والعنب معا، وليس شجرة الزيتون والعنب<sup>(١٦١)</sup> ويعبر عن هذا بالقول «الشجر المر ياكل الحلو» وبالمثل تشبه شجرة البلوط بالماعز، وشجرة الخوخ بالخروف «البلوط زي العنزة والوخوخ زي الخروف»، فشجرة البلوط والماعز تحتاجان إلى عناية أقل من أشجار الفاكهة والخراف. ويطلق على الزيتون والرمان والتين والعنب «ثمار الجنة»<sup>(١٦٢)</sup> وعلى شجرة الزيتون «الشجرة المباركة»<sup>(١٦٣)</sup> و«شجرة النور»<sup>(١٦٤)</sup>.

ويعتقد أيضا، بأن كل حبة رمان تحتوي على بذرة من الجنة، وهكذا يلاحظ بأن كثيرا من المسلمين في المدن، يراعون عدم إسقاط أي من البذور. هذا يوضح عادة سقي

الأطفال عصير هذه الفاكهة، ويقال «الرمان يملئ القلب إيمان».

دعيت الميرمية<sup>(١٦٦)</sup> نسبة إلى إسم مريم العذراء، ويروى أنها في إحدى نزهاتها في وقت الصيف الحار، جلست على حجر تستريح من عناء المشي، وكان العرق يتصبب من جبينها، فتناولت من تحت أقدامها بضعة أوراق من نبات «الميرمية» لتجفف بها جبينها ويقال أنه منذ ذلك اكتسب النبات رائحته الزكية، وما زال يكرم باسم العذراء<sup>(١٦٧)</sup>.

ويعتقد بعض الفلاحين، بأن نبات الميرمية احتفظ برائحة الأم حواء<sup>(١٦٨)</sup> ولقد سمعت في أوطاس القول التالي: «خذي شمي ريحة أمك»<sup>(١٦٩)</sup>، ويروى أيضا بأن مريم العذراء، بينما كانت تنتزه في الحقول، تمنّت أن تأكل لحما بدون عظم، (عظام). فجعل الله نبات الفطر ينمو، ولهذا النبات قيمة أكثر عند البدو، منه عند الفلاحين.

ويروى أيضا بأن مريم العذراء أضاعت ابنها يسوع، فأخذت تبحث عنه في الحقول والبساتين، وتحت الأشجار، وحوصرت بأشواك شجير ورد، فوبختها قائلة: «أنت لا تعرفين الألم المبرح الذي يسببه لي غياب ابني؟»، لتحل عليك مرارة روحي، ومنذ ذلك الوقت فقد ذلك النوع من الورد أشواكه ويعرف الآن باسم الدفلى<sup>(١٧٠)</sup> وفي الناصرة تقليد بأن كل عائلة تزرع نبات ريحانة العذراء، الذي يقدم في الكنيسة في عيد صعود العذراء.

ويقال أيضا أن النبي الخضر، الذي كان يشرب من ماء الحياة فقط، سكب الماء الباقي في طاسته فوق شجرة الصبر، التي كانت بقربه، ومنذ ذلك الوقت بقيت شجرة الصبر دائمة الخضرة، وغير قابلة للتلايف.

ويروى بأن النبي محمد (ﷺ) تناول مرة بيضا مسلوقا لم يلائمه، فتقيا، وباعجوبة تحول البيض إلى نبات النرجس البري، فصار البيض هو الكأس، والبياض البتلة.

ويروى أنه مرة دعا البدو الله، ليعطيهم طعاما حلوا، لا يحتاج إلى تحضير، فأرسل الله لهم نخيل البلح<sup>(١٧١)</sup> فلذلك يقولون: «البلح حلوة بلا نار».

وهناك عدة خرافات ممتعة، تتعلق بتفاح الجن<sup>(١٧٢)</sup> ولقد اعتقد بأن هذا النبات مسكونا بالأرواح الشريرة، التي تهاجم كل من يأكل الكثير من أثمارها، والجن الذي يعيش في جذور الشجرة، يتحكم في أجزاء نبات هذه الشجرة. ويعتقد بأن جذر الشجرة طويل جدا، حيث يستحيل الوصول إلى نهايته، ويقال أيضا بأن جزءا من الجذر يأخذ شكل إنسان. ولا يجزئ الفلاح بإزالة هذا النبات من حديقته، خوفا من مهاجمة الأرواح الشريرة، لذلك فهو يربط ثوره أو حماره بساق النبات، وما زالت الأثمار الناضجة ذات

الرائحة الحلوة<sup>(١٧٦)</sup> لهذا النبات، تستعمل كعلاج للعقم<sup>(١٧٤)</sup>. ويعتقد الفلسطينيون أن قشرة البصل هي ذهب الجن، وقشرة الثوم فضتهم، والمكان المفضل لإجتماعات الجن هو شجرة الخروب، والتين<sup>(١٧٥)</sup> الذي يعطي ثمارا سوداء اللون، ولذلك يحاول الفلاح تجنبهم بقوله: «النوم تحت الخروب غير ممدوح»<sup>(١٧٦)</sup> ويعتقد أيضا بأن شجرة الخروب هي ملك الكوكب زحل<sup>(١٧٧)</sup> ذي الفأل السيء. وكل شيء له علاقة بهذا الكوكب فهو ينتمي إلى الأرواح الشريرة.

وهناك اعتقاد أن شجرة البلوط مسكونة أيضا بالجن، حيث سمعت في ترمسعا « لا تقطع البلوط لأنه مسكن الجلووط<sup>(١٧٧)</sup>»، ويعتقد بأن أرواحاً شريرة، وصالحة يمكن أن تسكن سوياً في الينابيع، بينما لم يسمع بتاتاً عن وجود تلك الأرواح المتضادة في الأشجار<sup>(١٧٨)</sup>.

يلعب النبات دوراً هاماً في تفسير الأحلام، كما كان في العهد القديم<sup>(١٧٩)</sup>. وتحليلاً لبعض الأحلام اتضح أن التفسيرات تركز على التلاعب في الكلمات، أو على بعض الخرافات الشائعة.

الإسم	التفسير	الإشتقاق
سفرجل	رحلة، شجار، فراق	سفروجلة جلا تعني هجرة
خروب	مصيبة وهدم وموت وضياع	خرب أي يهدم <sup>(١٨٠)</sup>
دوالي	دواء، شفا، مساعدة <sup>(١٨٢)</sup>	مشتقة من كلمة دواء ولي
صبر	صبر، النجاح	صبر الفعل والإسم صبر
خبز، عيش	حياة طويلة، غني <sup>(١٨٢)</sup>	عاش
رز	حظ سيء، مصيبة	رزية وتعني مصيبة
خبيزة	الحياة اليومية	خبز
زيتون	ضوء أمل	مأخوذة من خرافة
بندق	غريب، غير شرعي <sup>(١٨٣)</sup>	بندوق وتعني الطفل الغير شرعي

تبين الأمثال والاغاني والخرافات والحكايات الرمزية الموجودة في التوراة<sup>(١٨٤)</sup> والمرتبطة بالنبات بأنه كان للنبات تأثير كبير على اليهود كما له على الفلسطيني الآن. حتى أن الفلاح يسمي ابنه أو ابنته باسم شجرة أو زهرة، بدلا من أسماء الملائكة والقديسين، وحتى في القسم نجد ذكر النبات كما تظهر الأقوال التالية: «وحياة هالبساط

الأخضر الي طلع من الارض خرسا وطرشا»<sup>(١٨٥)</sup>، «وحق من يعلم كم ورقة في هالشجرة» ويشير قائل ذلك بيده إلى شجرة، حتى صفات الله تفسر بالنبات، «ما شاء الله الزرع ببشبه ربه»، «وحياة هالشجرة الي بتشرب من عرقها وتسبح ربها»<sup>(١٨٦)</sup> وهذا يفسر ذروة خيال وورع الفلاح، فالنبات لا يمدح الله فقط، بل ينحني تكريما لعرش خالقه.

ويعتقد المسلمون بأنه في ليلة القدر في ٢٧ رمضان، تفتح أبواب السماء، والشخص المحظوظ يمكن أن يرى من خلالها. وفي هذه الليلة تنحني الأشجار إجلالا، حتى لا تنظر إلى وجه الله، وللمسيحيين نفس الإعتقاد عن شجرة الزيتون،<sup>(١٨٧)</sup> في عيد الصليب المقدس في ١٣ أيلول وفي عيد الغطاس، في ٦ كانون الثاني.

ويمكن إضافة بعض الملاحظات عن استعمال النبات في اعمال المنزل، وهي ليست اقتراحات عن اعداد الطعام، ولكنها حقائق عن الخرافات والعادات البدائية. فبصلة نبات صابونة الراعي، وصابونة العرب<sup>(١٨٨)</sup> كانت تستعمل سابقا بدل الصابون، حيث أنها تظهر رغوة عند احتكاكها<sup>(١٨٩)</sup> ويعتقد بأن الطيوان (فيجام)<sup>(١٩٠)</sup> تقضي على البعوض، ولذلك يقوم الفلاح من وقت إلى آخر بنثرها على أرض منزله. وتضفي الخضرة على الثياب رائحة زكية.

إذا لم يضع الدجاج العدد المتوقع من البيض خلال الربيع، ينثر في طعامها بعض أزهار شقائق النعمان، وعلى لسان الدجاج يقال «طلع الحنون وما بضنا يا عينينا يا عزارتنا من صاحبنا»<sup>(١٩١)</sup>.

تقوم النساء بجمع مواد الوقود والأقوال التالية تصف العلاقة بين قيمة الوقود والأنواع المختلفة للخشب.

(خطابة البسوة<sup>(١٩٢)</sup> خمس اقطاع ما بتسوي، خطابة الشيخ، بتسوي مية قرش صحيح، خطابة الصر<sup>(١٩٣)</sup> بتسوي تسع وتسعين عبد وحر». «أخضر الزيتون يابس الحطب»، «وما بيوقد السكران<sup>(١٩٤)</sup> إلا كل سكران (ويعني بذلك أن الرجل المعتوه، هو فقط الذي يحرق هذا النبات كوقود، لأن لدخانه فعل مخدر<sup>(١٩٥)</sup> ولا يستعمل خشب العبهر كوقود، لأن بذور أثماره يصنع منها المسابح التي تستعمل للتسبيح».

وأفضل أنواع الوقود للفلاح هو النتش، ويدعى أيضا بلآن. حيث تقوم النساء بجمعه في الصيف والخريف، وتقوم بنشره حتى يجف، ومن ثم يحفظ لاستعماله في فصل الشتاء.

ويشاهد أكوام منه حول مزار أو شجرة مقدسة<sup>(١٩٦)</sup> فلا أحد يجرؤ على السرقة من

كومة غيره، خوفا من عقاب الولي.

ويستعمل النتش خصوصا لتسخين اللتون، لتحضير الشيد من الحجر. ويمكن مشاهدة النساء والرجال يعملون باستمرار لعدة أسابيع لجمع الأشواك، حيث يحرق كميات كبيرة منه لإبقاء النار مشتعلة لمدة ثلاثة أيام وليالي، ومن الاسباب الرئيسية لإنجراف التربة من الجبال غير المشجرة<sup>(١٧)</sup> عند هطول الأمطار هو استعمال هذه النباتات الشائكة بكثرة، كمادة للوقود.

أما بالنسبة لنبات الحنّاء، فقد كتب كثيرا عن استعمالها للتجميل، وفي تزين المزارات، فلست بحاجة للإسهاب عنها في هذه المقالة.

وسنهي هذه المقالة بقليل من القصص الصغيرة عن النباتات:

يروى أن فتاة أرادت الزواج من رجل فقير، فاندesh والدها، وعندئذ أجابته «انها تريد الزواج منه لأنه فقير وليس بمقدوره أن يوفر لها إلا خبز الشعير، الذي لا يحتاج إلى عجن وانما بخلطه» جيدا بالماء.

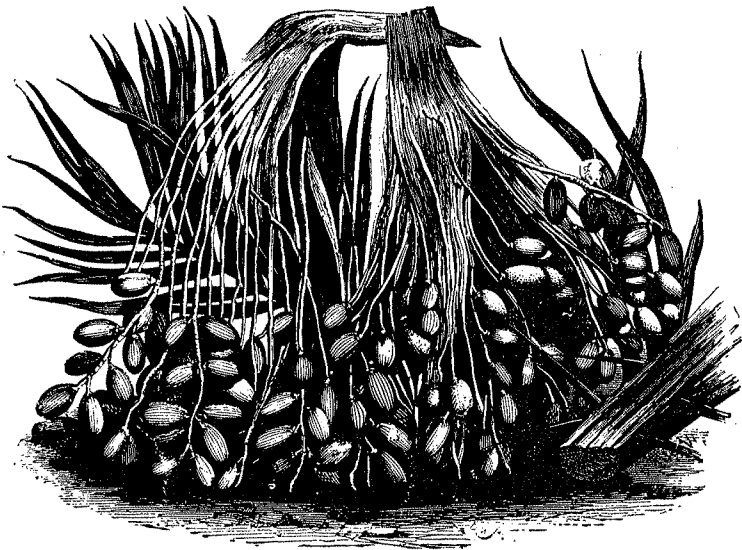
ويروى أيضا بأن رجلا وبخ زوجته لعدم اقتصادها، واهمالها، حيث أنها كانت توقع كثيرا من الحبوب عند طحن الذرة. فاستاءت زوجته منه وأجابه، بأن تلك الحبوب لا تساوي شيئا فرد عليها زوجها قائلا انه بإمكانه الزواج من امرأة أخرى بهذه الحبوب القليلة فضحكت زوجته منه، فقام بجمع الحبوب وزرعها، ومن ثم زرع الحبوب المحصودة بدورها. وبذلك أصبح المحصول كبيرا وثمنه كان كافيا لدفع مهر الزوجة الثانية». ويروى أيضا بأن فلاحا شكّا للقاضي عن طاعة زوجته له فأجابه القاضي «لقد نمت العصا في جنة عدن! بإمكانك استعمالها عند الضرورة لتعليم زوجتك درسا في الطاعة، وسوف تجلب البركة والسلام لبيتك».

ويروى بأن بدويا قتل يهوديا، ولأنه لم يكن هناك شاهدا قال الضحية: «انظر هنا شوكة الجمل ستشهد ضدك، وستأخذ بثأري، وبعد عدة سنوات حدث أن مر البدوي وزوجته من مكان الجريمة، وعندما رأى البدوي النبات ضحك، فأصرت زوجته أن تعرف سبب ضحكها، وأجابه قائلا: بأنه كيف لهذه الشوكة أن تنتقم لليهودي، وبعد ذلك بفترة قصيرة دفع الثمن.

ويروى أن فلاحا شك في سوء سلوك ابنته، وانقادا لشرفه وشرف العائلة، قام هو وابنه بقتلها في الحقول، التي تقع قرب برك سليمان. وبعد مدة قصيرة نمت عليها الأزهار

البيضاء التي كانت دليلا قاطعا للأب والأخ على براءة ونقاوة الإبنة المقتولة.

ويروى أن فاطمة ابنة النبي (ﷺ) عندما أرادت أن تدخل غرفة والدها في فترة حيضها، لفت انتباهها وجود حبة القمح على العتبة، فتراجعت فورا، لأنها لم ترد أن تخطو فوق حبوب العيش المباركة، وهي في حالتها تلك، وحاولت في الأيام التالية، ولكنها كانت تمتنع عن الدخول للسبب نفسه، حيث كانت حبة القمح تظهر وتختفي، بصورة عجيبة، وعندما انتهت فترة حيضها اختفت حبة القمح، وحتى يومنا هذا، لا تدخل امرأة أي مزار أو تخطو فوق أي شيء مقدس، في فترة حيضها، وأيضا لا يمكن لأي امرأة مسيحية وهي في فترة حيضها، مرافقة جوقة الترتيل، في أي كنيسة شرقية<sup>(١٨)</sup>. يقال أيضا بأنه عندما مات النبي محمد (ﷺ) حزنت الأشجار على موته، وعلامة حزنها أسقطت أوراقها لجزء من السنة. وهي تكرر ذلك كل سنة، ولدهشة الأشجار لم تسقط شجرة الزيتون أوراقها، وعندما سئلت عن ذلك أجابت بأن حدادهم لفترة معينة في السنة، ولكن حزنها العميق يمتد طول السنة، وبهذا خجلت باقي الأشجار... ويقال أيضا بأن رجلا أسود وجد قطعة من الخبز على بقعة نظيفة، فرفعها وأكلها ونتيجة لعمله الطيب، حلت البركة عليه فلون خده الذي مضغ قطعة الخبز أخذ يبيض تدريجيا وأصبح لونه أبيض<sup>(١٩)</sup>.



- (٢٩) يقال في طولكرم.  
 (٣٠) يعطي المثل «غير مكان عملك تفلح» نفس المعنى.  
 (٣١) انظر CANAAN, ZDPV, Vol. p. 171.  
 (٣٢) ويقول البدو عن المحصول السيء «زرع رعد القيقى والقمبر العتيقي».  
 (٣٣) ويقتن في طولكرم ان هذه العصافير تظهر قبل فصل الشتاء بفترة قصيرة.  
 (٣٤) يقول البعض ان الشجرة الكثيفة الاغصان تقول بما معناه خذ الغصن مني وانا اضمن ثمارها.  
 (٣٥) CANAAN, ZDPV, Vol. p. 171.  
 (٣٦) ١٤ ايلول حسب التقويم الشرقي: اليولياني.  
 (٣٧) BAYMAHN, Volkswisheit aus Palastina, ZDPV 1916 No. 38  
 (٣٨) التكوين ١٧:٣ - ١٩، ٢٠:٩، ٢٠:٢٦، ١٢:١ ايوب ١٤:١  
 (٣٩) هنالك قول آخر «اللي ماله جدر يموت قهر».  
 (٤٠) مقياس للغلات (الملح والزيتون) ويختلف تبعاً للاماكن المختلفة.  
 (٤١) من ملاحظات دونها ابي .  
 (٤٢) ٦ آب في التقويم الشرقي، سمعت في عين عريك.  
 (٤٣) ما زال الارمن يقدمون العنب على المذبح في ١٥ آب التقويم الشرقي (اخذت عن السيد اسطفان اسطفان).  
 (٤٤) التكوين ٣:٤ وما يليه، الخروج ١٨:٤٣، ٢٦، ٣٤.  
 (٤٥) ذكرت في التوراة كرمز للزوال ايوب ١٨:٢٧.  
 (٤٦) احياناً يكون هناك عريشة مغطاة بغصون الدوالي قرب القصر.  
 (٤٧) العنب المطبوخ مع سكريدى «دبس» وعرف في العهد القديم (تكوين ١١:٤٣، عزرا ١:٢٧).  
 (٤٨) SOCIN Arabische Sdichworte und Redensarten, Tubinger, 1878, 207 يعطي فقرة بنفس المعنى.  
 (٤٩) راجع KLEIN, Mitteilunger uber Leben und Sitten der Fellachenn, ZDPV, IV, 79 ff; BALDENSBERGER, The Immovable East, PFFQS, 1908, 29f.  
 (٥٠) يذكر بعض أغاني هذه المناسبات DALMAN, Palastinischen Diwan,  
 (٥١) راجع LINDER, Ein Sommerritt in Lande Ephraim, PJB, XII 104,  
 (٥٢) DAUMANN, ZDPV, 1916, 540.  
 (٥٣) من (بعرة) روث الجمل او الماعز: بعرات أصلاً تعني الجامعات للروث القاطعات اقل استعمالاً.  
 (٥٤) في زمن التوراة كان يسمح بجمع العنب المتروك (التثنية ٢٢:٢٤).  
 (٥٥) BALDENSBERGER, PEFQS, 1917, 19  
 (٥٦) DALMAN, Der Palastinische Islam, PJB, XIII, 18.  
 (٥٧) سمعت من السيد م. نجار. هذه العادة آخذة في الزوال.  
 (٥٨) أكبر جزء من الأقوال في هذا الجزء جمعت من ترمسعييا.  
 (٥٩) بالرجوع الى (التكوين ٣٠:١) معظم الحيوانات كانت آكلة اعشاب وستعود الى هذه المرحلة تبعاً الى ما جاء في (اشعيا ١١:٧).  
 (٦٠) التكوين ٤٤:٣٠ نشيد الانشاد ١٤:٧.  
 (٦١) راجع LUNDGREEN, Die Benutzung der Pflanzwelt in der alttest, Religion, p. 142 f.

- (١) كنعان Der Kalender des palestinensischen Fellachen, ZDPV, vol. 36, p. 267  
 (٢) في معظم الحالات التفسيرات غير صحيحة لغوياً.  
 (٣) يعطي دالمان تفسيراً أضعف احتمالاً في Arbeit und Sitte Palestina, p. 98.  
 (٤) كنعان, Kalender, ZDPV, vol. 36, p. 300  
 (٥) تلفظ بيدنجان، بيتنجان من الفارسية باذنجان، باذنجان وتعني أيضاً «بيض الجان» (الخصيتين).  
 (٦) اسطفان, Modern Palestinian Parables to the Song of Song. JPOS, vol. 2, p. 203.  
 (٧) ثمر (بلح) اسم ثلاث نساء في التوراة (التكوين ٦/٣٨، صموئيل الثاني ١٣:١ و ٢٧:١٤).  
 (٨) البلوط (التكوين ٢٦:٣٤ و ٣٦:٢، القضاة ١٢:١١).  
 (٩) التثنية ٣:٣٤ القضاة (١٦:١ و ١٢:٣) الايام الثاني ١٥:٢٨.  
 (١٠) حزقيال ٤٧:١٩، ٤٨:٢٨.  
 (١١) نحemia ٣:١٤، ارميا ٦:١.  
 (١٢) متى ٢١:١، مرقص ١١:١، لوقا ١٩:٢٩.  
 (١٣) القضاة ٧:٢٢.  
 (١٤) الايام الاول ٦:٧٧، الملوك الثاني ٦:١٨، هوشع ١٥:٣٢ و ٢١:٣٥.  
 (١٥) هوشع ٢١:٣٥ و ١٨:٤٢.  
 (١٦) الملوك الاول ٤:٩.  
 (١٧) الامثال التي سبق أن ذكرت في أمثلي التالية لن نكرر ذكرها هنا.  
 (١٨) يقسم الفلسطينيون، منذ القدم، السنة لفصلين الصيف والشتاء التكوين ٨:٢٢، المزامير ٧٤:١٧.  
 (١٩) كنعان, Die Wintersaat, ZDMG Vol. 71, p. 269.  
 ويورد دالمان في المرجع السابق ذكر لعادة أخرى.  
 (٢٠) كنعان, Kalender, ZDPV, Vol. 36, p. 269.  
 (٢١) التكوين ٢٧:٢٨، العدد ٦:٢٤ التثنية ٣٣:١٣ - ١٦.  
 (٢٢) للأنواع المختلفة التي تنمو مع القمح الأخضر راجع: Sprenger, Jesu Sae und Emregleichnsse PJB, IX 89 ff CANAAN, Die Winterasat ZDMG, Vol. 70, p. 173.  
 وللأعشاب التي تنمو مع المحاصيل الصيفية، انظر: S. LINDER, Ein Sommerritt in Lande Ephraim, PJB, XII, p. 109.  
 (٢٣) يبحث في هذا التساؤل SPRINGER في المرجع السابق.  
 (٢٤) ويعطى محيط البستاني، ١٥٢٢، «غراب الشيء» أي بداية أي شيء ويفهم الفلاحين من هذا التعبير براعم الأوراق، وهناك تعابير أخرى مثل حسم أو سمح.  
 (٢٥) لقد أوضحت في (JPOS, Vol. 3, p. 22) الشهر (خميس) سمي كذلك لانه الشهر الخامس وليس نسبة ليوم خميس يقع في هذا الشهر وله بعض الأهمية كما كتب DALMAN في (22) Arbeit.  
 (٢٦) هناك قول آخر (سقعة السبيل يتطرح الجمل).  
 (٢٧) اسمها «شقائق النعمان». ورجوعاً الى محيط البستاني، ١١٠٨، تعرف شقيق.  
 (٢٨) DALMAN في المرجع السابق، يعطي سجلاً كاملاً للنباتات التي تنمو في هذا الوقت من السنة.

- (٨٩) في المرجع السابق: BAUMANN, No. 349
- (٩٠) وهناك قول آخر «ما بيسوى قشرة بصلة»
- (٩١) GARLO LANDBERG, Proverbs and Dichions, No. 150 يورد المثل في رواية أخرى.
- (٩٢) هناك رواية أخرى للقول «كبر القرع واتدور ونسي قلة عام أول» وسمي البصل في اوله كثار وعن الشيء الرخيص يقال: «ارخص من الفجل».
- ويعطي الميداني: صفحة ٢٢٤ هذا المثل «ارخص من التمر بالبصرة».
- (٩٣) في المرجع السابق: OCIN, No. 92
- BAUMANN, No. 255 and LITTMANN (a. SINGER' Aarb proverbs, Cairo 1913, No. 129.
- (٩٤) في المرجع السابق يوردون امثلة مشابهة.
- (٩٥) اوردها بصيغة النفي. BAUMANN' No. 497.
- (٩٦) كنعان, ZOMG' Vol. 70' IS
- (٩٧) متى ١٦:٧ لوقا ٤:٤ وشهاب الدين عبد الوهاب النويري في (نهاية الادب) ص ١١٠ اورد هذا المثل (انك لا تجني من الشوك العنب).
- (٩٨) السربوخة غير معروفة في المعاجم وهناك قول «مماثل على العروق بتقنب الشجرة».
- (٩٩) هناك قول آخر «ياما زردة خلفت وردة» راجع أيضاً BURCHARDT Arabic proverbs, 763
- (١٠٠) يعطي في المرجع السابق. CARLO LANDBERG 120.
- اقوالاً أخرى معروفة في فلسطين.
- (١٠١) على أهدب «فرقد اللآل في جميع الامثال»، بيروت ١٣١٢ هجرة ٣٢٢ يعطي جزء واحد من هذا المثل.
- (١٠٢) يدعى الفرخ «آخر العنقود» والعنقود تعني هنا آخر بيضة في مجموعة بيض الدجاج. لا اعتقد أن «تالي العنقود» لها نفس المعنى الذي يعطيه اسطفان في
- (JPOS II, 201 (
- (١٠٤) يعطي قولاً آخر BAUMANN, 33
- (١٠٥) اسطفان JPOS V, p. 97, 27 and JPOS, VP, 12, 39 SOCIS, 375
- (١٠٦) نرى في سفر الجامعة ٦:٧ مقارنة لضحك المجنون بطقطة الاشواك.
- (١٠٧) BAUMANN, 135
- (١٠٨) في المرجع السابق: K.L. TALQVIST, 170.
- (١٠٩) هناك قول مشابه في I.S. YAHUDA (Bagda dische Sprichwörter, 21) وراجع أيضاً متى، ٢١: ١٩.
- ٢١.
- (١١٠) كنعان Mohammedan Saints and Sanctuaries, p. 103
- (١١١) كنعان في المرجع السابق ص ١٠٣ وما يليها.
- (١١٢) (URTISS German edition) pp. 96-98.
- (١١٣) ذكر البلوط في التوراة (التكوين ١٢: ١٨، ٣٥. يشوع ٢٤: ٢٦، القضاة ٦: ١١، ٩ وشجرة الرمان في (صموئيل الاول ١٤: ٢) وشجرة النخيل في (القضاة ٥: ٤) (وشجرة العبر (هوشع ٤: ١٣) ارجع أيضاً الى المرجع السابق pp. 17-24 LUNDGREEN.
- (١١٤) قارن بهوشع ٩: ١٤ - ١١٥ - دائماً تذكر شجرة النخيل في القرآن.
- (١١٦) المزامير ٩٢: ١٣.
- (١١٧) البلح غذاء رئيسي لكثير من القبائل.

- (٦٢) أفراد الكنائس الشرقية خلال بضعة أيام في الصيام يتناولون الاعشاب فقط.
- (٦٣) يقال أيضاً في البلح.
- (٦٤) (اشعيا ١: ٨) يلاحظ بان الخيار كان يزرع بكثرة.
- (٦٥) كان يطلق على الغول في بعض الاماكن أبو عمار كما افاد السيد عمر البرغوثي.
- (٦٦) JSTNGER, Arabic ProVerbs, 70, J.R. JEWETT, Arabic Proverbs, etc. JAOS, XV, No. 171, EINSLER, Mosaik, 55 and 56, BAUER, Volk sleben, etc. 54; Socin, Arabische sprichwörter, 498.
- (٦٧) ويعني ايضاً ابق في بلدك واعمل بإخلاص.
- BAUMANN, ZDPV, 1926: 12; DALMAN, Arbeit, 35.
- (٦٨) يوردها برواية أخرى.
- Le 'Comte LANDDRG, Proverbs and Dichions' 6, BAMAUNN 375.
- (٦٩) وفي المرجع السابق J.L. BURKHARDT, Arabic Proverbs. 366, JPOS, V, p. 97, 26
- (٧٠) ويعطي اسطفان بعض الروايات الأخرى في.
- (٧١) راجع ايضاً اسطفان في المرجع السابق وما ذكره هنا هي تعابير، وأبيات شعر وامثال لم يوردها اسطفان.
- (٧٢) اصابعها مثل أقلام الخيار (الاصابع الطويلة من علامات الجمال).
- (٧٣) نادراً ما نسمع بهذا التشبيه «عيونها مثل نوار العلك».
- (٧٤) اسطفان في المرجع السابق، ٢٠٧.
- (٧٥) لقد ذكرت بضعة أسطر فقط من الاغاني الشعبية بقصد الايجاز.
- (٧٦) (نشيد الانشاد ٤: ٢) في احتفالات الزواج كان يدار بالتفاح بين المدعويين لشمه، DALMAN PJB, XVII, 72
- (٧٧) في نشيد الانشاد ٤: ٦٣: ٦: تقارن الخدود بفلقة الرمان حيث يظهر منها البذور الحمراء والبيضاء (في المرجع السابق DALMAN).
- (٧٨) نشيد الانشاد ٤: ١٣: ١٢ جمال الصدر يقارن بستان الفاكهة.
- (٧٩) تشبه الرقبة بغصن النخيل، وورد ايضاً تشبيه الطول بشجرة الزان.
- (٨٠) ويتعلق آخر مثلين بالسمنة والدهن.
- (٨١) نشيد الانشاد: ٧: ٧.
- (٨٢) الجزء الاول ذكره. DALMAN, Arbeit, 52
- (٨٣) and Spiele, 172 وفي المرجع السابق KL. TALQVIST, Arabische Sprichwörter' 413
- يعطون امثلة متشابهة.
- (٨٤) وهذا يفسر عادة الحمصة.
- (٨٥) جوتان في (القضاة ٩: ١٤ - ١٥) يشابهه ابي مالك بالشوك الذي مع تقدم عمره أصبح أكثر بخلًا.
- (٨٦) الميداني في (مجمع الامثال) صفحة ٢٢٢ يورده برواية أخرى.
- (٨٧) حتى عند ميلاد الطفل يقال أنه بخيل أو كريم اذا ولد بيد مغلقة أو مفتوحة (كنعان).
- (The Child in Palestinian Superstition, JPOS, VI, 164).
- BAUMANN, No. 337 J.R. JEWETT, Arabie Proverbs and Proverbial Phrases, JAOS, XV, No. 151.
- (٨٨) في المرجع السابق
- L. BAUER (Arabische Sprichwörter ZDPV, XXV, No. 168)

(١١٨) مذكورة في القرآن «١٩» سورة مريم الآية ٢٥ كنعان

Die Neugeboenen in der Palastinischen Sitte: Neuste

Nachrichten aus d. MorgenLande, vol. 71, p. 151, JPOS, VII, 166

(١١٩) عادة قديمة ما زالت تلاحظ عند المسلمين من سكان المدن. «الآغاني» ٤، ١٥٤٩.

WEIHAUSEN, Reste arab. Heidentums, 154

The Child in Palestinian Arab Superstion, JPOS, VII, 166,

(١٢٠) كنعان

(١٢١) وكان داخل هيكل سليمان يزخرف بصور اغصان النخيل (ملوك اول - ٢٩:٦، ٢٥:٢٢، عزرا ٤:٧١٨)

(١٢٢) كنعان، 13، JPOS, IV,

(١٢٣) ويشاهد الشيء نفسه على الفخار.

(١٢٤) كنعان، p. 87. Aberglaube,

(١٢٥) PEEQS, 1903, 292

(١٢٦) كنعان، 87; Aberglaube; فريد العجايب ١٠٢.

(١٢٧) السورة الخامسة الآية ١١٢ - ١١٥.

(١٢٨) مجير الدين «تاريخ الانس الجليل» ١٤٦.

(١٢٩) نفس المرجع الأخير، ١٤٧. المرجع الأخير، ٢٠٩.

(١٣٠) السورة ٩٥ الآية ١ و ٢٤:١. وكذلك راجع 19 JPOS VI

(١٣١) EREMIAS, Das alte Testament im Lichte des alten Orients, 95, 105:

DALMAN, PJB, 1906, 50: SELLIN, Ertrag der Ausgrabungen im Orient, 35ff: LUNDGREEN'

37f.

في المرجع السابق.

Aberglaube, 85, JPOS, IV, 13. Kahle, PJB, VIII, 140.

(١٣٢) كنعان،

(١٣٣) الأمثال ١٨:٣، ١١:٣٠، ١٣:١٢، ١٥:٤

(١٣٤) السورة الثانية الآية ٢٢.

(١٣٥) مجير الدين، في المرجع السابق ١٨؟ محمد فريد المغني «تاريخ الانبياء والاسلام» ص ٤.

(١٣٦) يعتقد البعض بأن حواء نفسها قطفت الفاكهة وعندئذ أفرزت سائل حليبي ومنذ ذلك الوقت تنزف الانثى

لتذكر المصيبة التي كانت هي سببها.

(١٣٧) لا يبط الفلاح بتاتاً بتعليه على كومة قمع.

(١٣٨) سمعت نفس القصة في سريس.

(١٣٩) يتمهل الفلاح في عملية درس الحنطة (اللاويين ٢٦:٥ اعوث ٣) التي كمنث لشهر أو شهرين. فهو يعمل

بنفس الطريقة البدائية التي اتبعها اجداده في زمن التوراة (التثنية ٢٥:٤).

(١٤٠) لا تستعمل الأرقام العادية عند كل القمح ويسمى عادة بدل كلمة واحد للصاع الأول قول «الله واحد»

ويتكرر حتى انتهاء وتوزيع الصاع. وللتاني يقال «ماله ثاني» وللتالث يقال «ثلاثة» الرابع «نريح من الله»

وللخامس «خمس» وللسادس «ستر الله» وللسابع سمحة (هبة الله) أو بركة «وللثامن رب الامانة»

وللتاسع والعاشر لا يغيران وللصاع الحادي عشر يقال «الحادي للنبي».

(١٤١) سابقاً كان الخبز يكسر ولا يقطع لاعتقاد الفلاحين بأن الخبز يفقد بركته اذا قطع بالسكين؟ ويقول

المسيحيون «المسيح كسر ولم يقطع الخبز».

(متى ٢٦:٦، مرقس ١٤:٢٢).

ZDMG, 164, ff. Aberglaube, 70. DALMAN, PJB, 17. EXX

(١٤٢) كنعان،

(١٤٣) ابراهيم.

(١٤٤) تدعى كومة القمح على أرض الدرس «الصليبية» ويختم كل مساء أعلى الكومة وجهاً الأربعة يختم

محفور عليه لا إله الا الله. وفي هذه الحالة اذا لم يتوفر وجود الختم المزخرف تستعمل بصمة الخمس

اصابع (اليد). وبهذا يمكن التأكد في صباح اليوم التالي من سلامة القمح وعدم تعرضه للسرقة. وكذلك

لحماية الكومة. راجع DALMAN, PJB, XIII وكلمة «صليبية» مأخوذة من صليب وتأتي من شكل اتحاد

الأربع علامات على أعلى الكومة. ولا يبدأ الكثيرون بكيل القمح مباشرة بعد درسه بل ينتظرون قليلاً:

«بروق».

(١٤٥) ويعني هذا المثل بأنها (الزوجة) لم ترى يوماً جيداً خلال عيشها مع زوجها لتبكي عليه فهي لم ترى سوى

خبز الشعير وقلّة السمن في الطعام.

(١٤٦) الميداني في المرجع السابق ص ٢٢٤.

(١٤٧) كنعان،

Aberglaube, 34, note I.

(١٤٨) (سقر العدد ١٥:٥، القضاة ١٣:٧ و الملوك الثاني ٤٢:٤ عزرا ٤:١٢، يوحنا ٦:٩، ١٨).

(١٤٩) رماح ورموح تستعمل كلاهما للجمع.

(١٥٠) الجريان تعني أكياس جلدية صغيرة ويقصد به أنهم يأخذوني الى الحقول بأكياس ويرجعوني على

الجمال أي كميات قليلة من البذور تعطي محصولاً غنياً.

(١٥١) ويقولون عندما تظهر أول ورقة شعير من الساق (اطلع رايات).

(١٥٢) الصوت الذي ينتج عند عجن العجين وتعني أيضاً «وارم».

(١٥٣) قديماً كان العدس مفضلاً (التكوين ٢٥:٢٥، صموئيل الثاني ١٧:٢٨، ٢٣:١١، عزرا ٤:٩).

(١٥٤) وبنفس المعنى يقال «زيتون ابزيتون حرة في بيتي يكون».

(١٥٥) هناك مماثل «العز للرز والمرقة للعدس».

(١٥٦) القطناني هو وجبة الحمص بالطحينة والحمصاني الذي يقوم بتحضير ذلك.

(١٥٧) يستبدل البعض الفاصوليا بالعدس أو الكرسة.

(١٥٨) في «سريس» تحمل العروس ابريق ماء على رأسها وعليها أن تلمس عمود الباب العلوي عند دخولها بيت

زوجها.

(١٥٩) المعنى يختلف تماماً في هذا التعبير «دار ابوي خضرا» ويعني أن المرأة المحترمة لا تتكلم بالسوء عن

الآخرين وتبدر ذلك لاعتقادها بأن الكلام بالسوء على الآخرين يمكن ان يهدم مكانة بيت والدها النبيل.

تستعمل النباتات أيضاً بطريقة رمزية في السحر وبعض الأمثلة على ذلك:

(أ) يئثر الناس عند مرور موكب العروس من أو الى الكنيسة الفاكهة الطوة كالزبيب او التين تقاؤلاً

لمستقبل حسن لذلك الزواج.

(ب) ينثر عدو العريس الطحين «ليربط» قواه الجنسية.

(١٦٠) البعض وخصوصاً في دير غسانة يقارن المرأة المدنية بشجرة البرتقال «شجرة الدلال».

(١٦١) التثنية ٨:٨ ملوك الاول ٢٥:٤، المزامير ٤٧:٧٨، ١٠٥:٢٣ نشيد الانشاد ١٣:٢ هوشع ١٢:٢ يوثيل

١٢:١، ميخا ٤:٤، زخريا ١٠:٢.

(١٦٢) أهم اشجار الفاكهة في الأرض المقدسة.

(١٦٣) يستعمل الصوفيون كلمة الزيتون للتعبير عن «الروح الحساسة» محيط البستاني» ص ٩٠١.

(١٦٤) تستعمل في التوراة كرمز السلام والجمال والخصوبة.



(١٦٥) كنعان، JPOS VII 166

(١٦٦) في طولكرم تدعى الشجيرة.

(١٦٧) في عدة اماكن يوضع الموتى في قبورهم فوق الميرمية والتي أيضاً توضع فوق القبر.

(١٦٨) رويت من قبل MISS Baldensperger

(١٦٩) وتدعى وردة اريحا «كف العذراء» ولا اعلم لماذا دالمان في Arbeit 54 ترجمها «بروح العذراء».

(١٧٠) رويت عن السيد اسطفان اسطفان.

(١٧١) ويقال أيضاً: «النخلة شجرة البدوي».

(١٧٢) وتعرف أيضاً باسم تفاح المجانين، وتفاح البجان، وتفاح المحال، وتفاح المجن، والشجاع والبنج ويعطي

اسطفان بعض هذه الأسماء في JPOS II 222، وفي «محيط البستاني» تعرف الشجرة بالفلاح والثمرة

بيروج.

(١٧٣) نشيد الانشاد ١٤:٧.

(١٧٤) التكوين ١٤:٣٠ وما زلنا نسمع القول «تفاح المجل يجيب الحبل». راجع اسطفان JPOS II 222

(١٧٥) رجوعاً الى القضاة ٢٠:٣٩ (بعل ثمار) ويظهر ان الاعتقاد بأن الاشجار مسكونة بالجن يعود الى عهد

التوراة رجوعاً الى:

SCHEFIOWITZ, AIT - patazrinensischer' Aberglaube' p. 20

«من pesachim III نعلم أن استراحة الانسان في ظل بعض الأشجار ستجلب اليه المخاطر من قبل

الأرواح الشريرة التابعة في هذه الأشجار».

(١٧٦) المجريتي (غاية الحكيم) كنعان، JPOS, IV 37

(١٧٧) في «محيط البستاني» ٢٧٢ تعني كلمة الجلوث (امرأة وقحة) وهي غير معروفة في معاجم اخرى وهناك

احتمالاً بأنها مشتقة من (جلوث) السورة الثانية الآيات ٢٤٤:٢٤٥ وفي اللغة العامية هي اسم جن قوي

(زجلوث كان عملاقاً شهيراً).

(١٧٨) كنعان JPOS, I 153, 170

(١٧٩) توضع الفقرات التالية من التوراة ذلك: التكوين ٩:٤٠ حلم حامل الكأس والتكوين ١:٤١ - ٨ حلمي

فرعون، القضاة ١٣:٧ خبز الشعير للمدائني، التكوين ٥:٣٧ يوسف وحزمة دانيل ٧:٤ شجرة نبوخذ

نصر.

(١٨٠) عبد الغني النابلسي، «تأثير الأيام» ١٢٤.

(١٨١) التكوين ٩:٤٠.

(١٨٢) حلم يوسف عن الحزم كانت تعني النجاح والحظ الجيد.

(١٨٣) راجع عبد الغني في المرجع السابق.

(١٨٤) في المرجع السابق. LUNDGREEN P, 149ff.

(١٨٥) كنعان، Mohammedan Saints, 126

(١٨٦) JPOS, VI 2

(١٨٧) لوحة الرسم على المذبح في الكنيسة الارثوذكسية فيرى غاليلاي، تبين شجرة الزيتون منحنية تكريماً

للتبوتوكوس (رويت عن اسطفان اسطفان).

(١٨٨) كلا التعبيرين غير معروفين في المعاجم العربية.

(١٨٩) الطعم اسم آخر لبطيخة النباتات.

(١٩٠) رجوعاً الى «محيط البستاني» فيجام من اصل فيجان وهي كلمة يونانية معربة.

(١٩١) كنعان JPOS III 34

(١٩٢) غير معروفة في المعاجم العربية.

(١٩٣) زيتون صري هو نوع من شجر الزيتون البري اثمارها صغيرة تحوي على بذور كبيرة.

(١٩٤) وحتى الحيوانات تصبح ثملة عندما تتناولها.

(١٩٥) ويصفه «محيط البستاني» ص ٩٧٣ بأنه نبات دائم الخضرة.

(١٩٦) كنعان، Mohammedan Saints, 103

(١٩٧) «خميس النبات» وصف في JPOS, III, 23

(١٩٨) كنعان، Aberglaube

(١٩٩) لقد سمعت آخر قصتين من Miss Baldensberger



WILD MUSTARD.

«نبات الخردلة البرية - يقول مثل شعبي [عجوز اشتهدت في  
الصيف خردلة وفي الشتاء حصرم. يا اكشيل اللي قناها] - فالخردلة لا  
تتوفر في الصيف كما لا يتوفر حصرم العنب في الشتاء.

الرقم المتسلسل: GR/285/ K36/1990z/v.1.

المؤلف: كنعان ، توفيق

العنوان : الأعمال الفولكلورية الفلسطينية للدكتور توفيق كنعان ...

الرقم المتسلسل: GR/285/ K36/1990z/v.1.

المؤلف: كنعان ، توفيق

العنوان : الأعمال الفولكلورية الفلسطينية للدكتور توفيق كنعان ...

اسم المستعير	تاريخ الارجاع
المركز الفلسطيني	04-12-1998

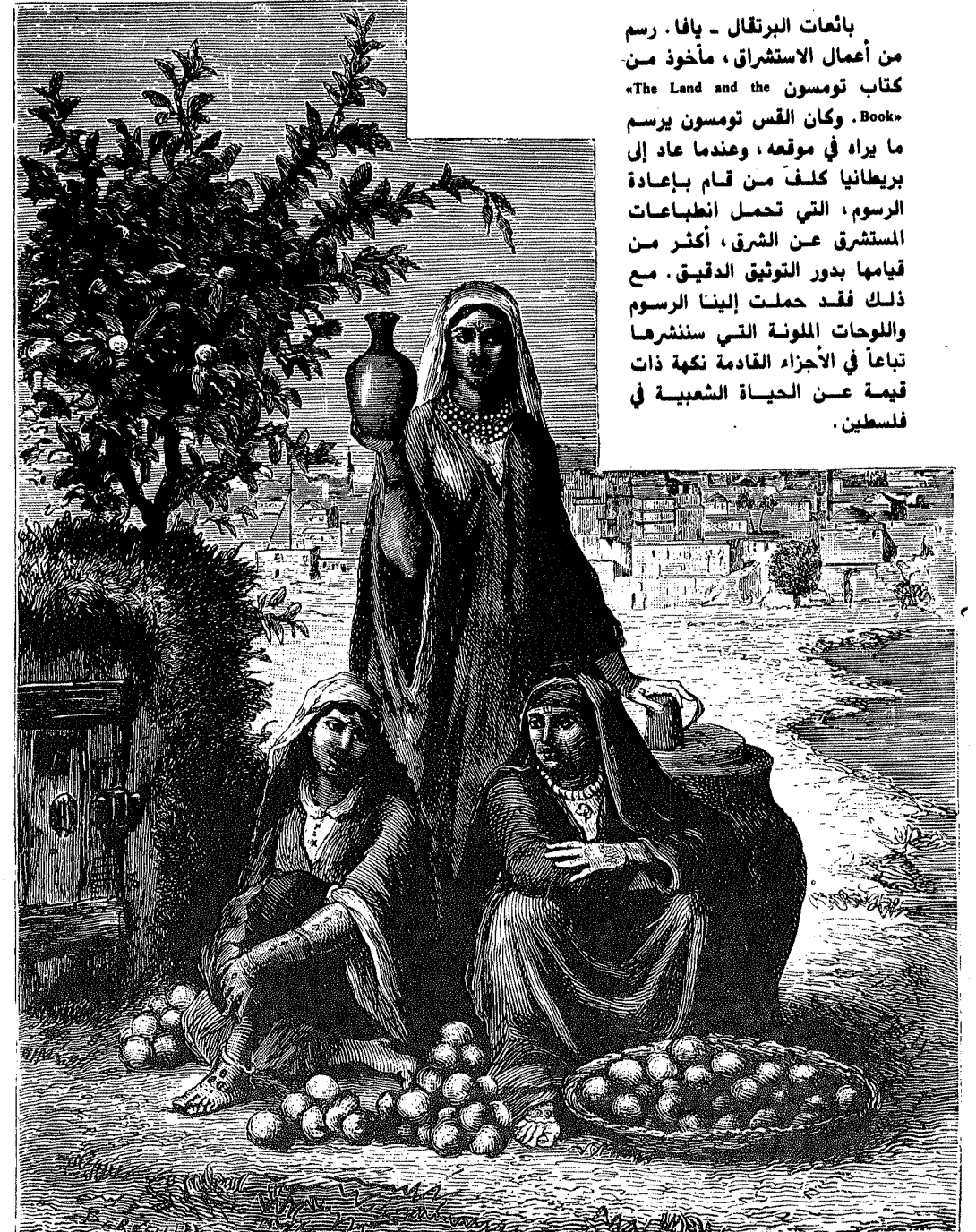
تاريخ الاعداء Date Due

تاريخ الاعداء	Date Due
04-12-1998	
03-01-2000	
18-04-2000	
APR 23 2009	
16-02-2002	
22-01-2004	
20-11-2006	
APR 14 2009	

BIF



\*A33849\*



بائعات البرتقال - يافا . رسم  
من أعمال الاستشراق ، مأخوذ من  
كتاب تومسون «The Land and the  
Book» . وكان القس تومسون يرسم  
ما يراه في موقعه ، وعندما عاد إلى  
بريطانيا كلف من قام بإعادة  
الرسوم ، التي تحمل انطباعات  
المستشرق عن الشرق ، أكثر من  
قيامها بدور التوثيق الدقيق . مع  
ذلك فقد حملت إلينا الرسوم  
واللوحات الملونة التي سنشرها  
تباعاً في الأجزاء القادمة نكهة ذات  
قيمة عن الحياة الشعبية في  
فلسطين .